

The background features three large, overlapping blue circles of varying shades (dark blue, medium blue, and light blue) arranged in a diagonal line from the top right to the bottom right. Two thin, light blue lines intersect at the top left corner, forming a large 'V' shape that frames the central text.

**ثُحفة السَّالِكِينَ ودَلَالَةُ السَّائِرِينَ لِمَنْهَجِ
المُقَرَّبِينَ فِي بَيَانِ الطَّرِيقِ
تَأليف
العلامة محمد منير السمّودي رحمة الله**

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء لحضرة شيخنا المكلل بالأدب

فضيلة الشيخ المربي الدكتور رجب ديب حفظه الله تعالى
إعترافاً له بالجميل و التقدير و المحبة من مريديه على الهداية للطريق

المستقيم

و إلى المؤلف

العلامة محمد منير السمّودي رحمه الله تعالى
و كل من أراد سلوك الطريق الى الله عزّ و جلّ

عمل على تجديد هذا الكتاب و طبعه

ابومحمد أمين حاسبيني

مساعدون: الشيخ محمد خير ابو صينية, سميرة نجا, ايمن الكنوني, ثائر الشمالي
احببنا نشر هذا الكتاب بنسخة مصححة نرجو من الله القبول و المغفرة و حسن
المآب و ان لا يؤاخذنا بما انطوت عليه الضمائر و اكنته السرائر من القبائح و
المعائب والكبائر و نسأله سبحانه ان يوفقنا جميعاً للتقّي منها و التنزه عنها

آمين

بيروت عام ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م

قال الشيخ السمّودي رحمه الله ناصحاً السالك:

أن لا يستحسن طريقاً غير طريق شيخه أو يستعمل ورداً غير ما أعطاه له الشيخ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أزالَ الرَّانَ عَن قُلُوبِ العَارِفِينَ وأَبْرَزَ مِن سَمَاءِ الدَّاتِ نُورَ شَمُوسِ الأَسْمَاءِ لوصولِ السَّائِرِينَ وأَخْرَجَ فُؤادَ الأَحْبَابِ مِن ضَيْقِ الإِحْتِجَابِ إلى النُّورِ المُبِينِ ورَسَمَ بيدِ العِنايةِ سَطْرَ آلاءِ أُنعامِهِ في صَفَحَاتِ ألواحِ عقولِ المُكسِرِينَ الَّذِي أَحياَ أمواتِ المَقاماتِ بوابِلِ غَيْثِ الأذْكارِ لِإنباتِ العُلومِ اللدِّيَةِ في فُؤادِ الواصِلِينَ أَحمدَهُ حَمْدَ مَنْ سَقاهُ اللَّهُ مِنَ خَمْرِ مَحَبَّتِهِ شَرابَ اليَقِينِ وأَشهَدُ أنْ لا إِلهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحَدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ شهادَةً مَنْ أَقرَّ بِها بِدَلِّ العُبودِيَّةِ كانَ مِنَ الموقنينِ وأَشهَدُ أنَّ سَيِّدنا وَمَوْلانا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ ورَسولُهُ مُوضِحُ طَريقِ المُقَرَّبِينَ الَّذِي أنزَلَ عَلَيْهِ (والَّذِينَ جَاهَدُوا فِينا لَنَهْدِيَنَّهُم سُبُلنا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ المُحْسِنِينَ)(العنكبوت-٦٩) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ مَشُوا على طَريقَتِهِ وَتَحَقَّقُوا بِحَقائِقِ الدِّينِ.

وبَعْدُ فيقولُ العَبْدُ الفَقيرُ مُحَمَّدُ المُنيرُ السَمودِي قَدْ سألني بَعْضَ الأخوانِ رَزَقني اللَّهُ وإياهمُ اليَقينَ والوصولَ إلى مَقامِ التَمَكِينِ أنْ أَجمَعَ شَيْئاً مِمَّا يَحْتَاجُهُ الرَّاعِبُ في سُلُوكِ الطَّريقِ وَمَنازِلِ أَهلِ التَّحْقِيقِ فَفَرَعْتُ عِنْدَ ذَلِكَ بابُ الإِسْتِخارَةِ بيدِ الإِفْتِقادِ وأسبَلتِ الدُّموعُ مِنَ مُقلتي الدُّلِّ والإِنْكَسارِ وَعِلِمْتُ بأنِّي لستُ مِنَ رِجالِ هذا المِيدانِ ولا مِمَّنْ تَجولُ فِيهِ مِنَ فُحولِ الفُرسانِ فَحينَ أمدَّني شَيْخِي وفُذوتِي إلى اللَّهِ الشَّمسِ الحَفني بَنظَرِهِ سِرْتُ في بَحْرِ عُرْفانِهِ أسبَحَ وبِفيضِ إمدادِهِ أنْتَفَحَ فَأَجَبْتُهُ إلى ذَلِكَ طالِباً مِنَ اللَّهِ العونَ والإِخْلاصَ وأنْ يَكُونَ سَبباً لِنجاتي يَوْمَ القِصاصِ وَسَميَّتُهُ نُحْفَةُ السَّالِكِينَ ودَلالَةَ السَّائِرِينَ لِمنْهَجِ المُقَرَّبِينَ وَرَتبْتُهُ على عَشْرَةِ أبوابٍ وَخاتِمَةٍ.

١ - في كَيْفِيَّةِ العَهْدِ والتَّلْفِينِ ووصيَّةِ الشَيْخِ للمُريدِ بَعْدَ العَهْدِ.

٢ - في الدُّكْرِ وأدابهِ والْحَثُّ على إِسْتِعْمالِهِ.

٣ - في بيانِ الطَّريقِ المُوصِلِ إلى اللَّهِ وأركانها حَسَبَ ما قالوهُ على الوجهِ الَّذِي ذَكَروهُ.

- ٤ - فيما يتعلّق بالشيخ وشروطه وآدابه.
- ٥ - في بيان آداب المرید مع شيخه.
- ٦ - في بيان آداب المرید مع إخوانه.
- ٧ - في بيان آداب المرید مع نفسه.
- ٨ - في الأسباب التي يستحقّ المرید الطرد من شيخه.
- ٩ - في النقابة والنقباء وما يتعلّق بذلك.
- ١٠ - في النفوس وتقسيمها وأوصافها والأسماء التي يستعملها السالك في كلّ نفس.

الخاتمة- في شيء من مصطلح القوم.

فأقول مستمداً من الله القبول فأقول:

الباب الأول في كيفية العهد والتلقين ووصية الشيخ للمريد بعد العهد

إعلم أنّ العهد لغة التزام شيء ليوفى به في المستقبل حقاً كان أم باطلاً ومنه تعاهدت بنو فلان على كذا وكذا وشرعاً التزام قرابة دينية كالإلتزام الأنصار أنّهم يحمون النبيّ صلى الله عليه وسلّم ممّا يحمون منه نسائهم وأولادهم والأصل فيه قوله تعالى: (إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله) (الفتح-١٠) وقد ثبت من فعله صلى الله عليه وسلّم وشروطه كمال الشيخ وإنقياد المرید ووجود التسليك والأصل في التلقين ما رواه الطبراني والبخاري وغيرهما أنّ النبيّ صلى الله عليه وسلّم لقن أصحابه كلمة لا إله إلا الله جماعةً وفرادى بعد أن سبق تكرارها منهم من أسلموا إلى ذلك الوقت فإمّا تلقينه لأصحابه صلى الله عليه وسلّم جماعة فقد قال شداد بن أوس رضي الله عنه كُنّا عند رسول الله صلى الله عليه وسلّم فقال عليه السلام هل فيكم غريب يعني من أهل الكتاب قلنا لا يا رسول الله فأمر رسول الله

صلى الله عليه وسلم بخلق الباب وقال إرفعوا أيديكم وقولوا لا إله إلا الله فرفعنا أيدينا
وقننا لا إله إلا الله ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أبشروا فإن الله قد عرف
لكم* (الحاكم في المستدرک ٥٠١/١) وأما تلقينه صلى الله عليه وسلم لأصحابه فرادى فقد قال
علي بن ابي طالب كرم الله وجهه سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول
الله دنني على أقرب الطرق إلى الله عز وجل وأسهلها على عباده وأفضلها عند الله فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم يا علي عليك بمداومة ذكر الله عز وجل سراً وجهراً فقال
علي رضي الله عنه كل الناس ذاكرون يا رسول الله وإنما أريد أن تخصني بشيء فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم مه يا علي أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا
الله ولو أن أهل السموات السبع والأرضين السبع في كفة ولا إله إلا الله في كفة لرجحت
لا إله إلا الله ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة وعلى وجه الأرض
من يقول الله الله ثم قال علي رضي الله عنه كيف أذكر يا رسول الله فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم غمض عينيك واسمع مني لا إله إلا الله ثلاث مرات ثم قل أنت لا إله إلا
الله ثلاث مرات وأنا أسمع ثم رفع رأسه صلى الله عليه وسلم ومدّ صوته وهو مغمض
عينيه لا إله إلا الله ثلاثاً وعلي يسمع ثم إن علياً رفع رأسه ومدّ صوته وهو مغمض
عينيه وقال لا إله إلا الله ثلاث مرات والنبي صلى الله عليه وسلم يسمع*. هذا أصل سند
القوم في التلقين إنما أمر النبي صلى الله عليه وسلم بخلق الباب إشارة إلى أن طريقة القوم
مبنية على السر وشفاء الوقت وأنه لا ينبغي أن يذكر لك منه بحضرة من ليس منهم ولا
يعتقد فيهم وإعلم أن من فوائد التلقين إرتباط القلوب بعضها ببعض إلى رسول الله صلى
الله عليه وسلم ثم إلى الله عز وجل وأقل ما يحصل للمريد الصادق إذا دخل سلسلة القوم
بالتلقين أن يكون إذا حرّك حلقة نفسه تجاوبه أرواح الأولياء من شيخه إلى رسول الله صلى
الله عليه وسلم إلى حضرة الله عز وجل فمن لم يدخل في طريقهم بالتلقين فهو غير معدود
منهم وإذا تحرك لا يجيبه أحد. ومن آداب التلقين وما يستحسن له أن يأمر الشيخ المرید قبل
ذلك إن يبیت ثلاث ليالي على طهارة ويصلي كل ليلة ست ركعات يقرأ في أولهما الفاتحة

مرّة وإنا أنزلناه سيّئاً وفي الثانية الفاتحة وإنا أنزلناه مرتين ويسلم ويهدي ثواب ذلك إلى روح النبي صلى الله عليه وسلم ويستمدّ منه صلى الله عليه وسلم القبول والعون والفتح ثمّ يُصلي ركعتين يقرأ في الأولى الفاتحة والكافرون خمساً وفي الثانية الفاتحة والكافرون ثلاثاً ويهدي ثواب ذلك إلى الأنبياء والمرسلين والأولياء أجمعين. ويستمدّ منهم ثمّ يُصلي ركعتين يقرأ في الأولى الفاتحة والإخلاص أربعاً وفي الثانية الفاتحة والإخلاص مرتين ويهدي ثواب ذلك لمرشده ومشايخه ويستمدّ منهم أجمعين القبول والفتح ويصلي على النبي صلى الله عليه وسلم عشراً ويقول في الأخيرة منها وعلى جميع الأنبياء والمرسلين وآل كلِّ وصحبهم أجمعين عدد ما خلق الله بدوام ملك الله فإن كان يحسن ما تقدّم فعله وإلا قرأ في الجميع سورة الإخلاص وإلا بالفاتحة ثمّ يجلس متربّعاً ويشترع في قوله جزى الله عنا سيّدنا ونبيّنا محمّداً صلى الله عليه وسلم ما هو أهله ألف مرّة كلّ ليلة عند نومه ويكون ذلك آخر عمله في فراشه حال كونه مستحضراً النبي صلى الله عليه وسلم كأنه يراه متأدّباً بين يديه بذلك الحضور والإستحضار وهو واضع جنبه على فراشه حينئذ وهو يذكر ليأخذه النوم على ذلك فإن كان المرید شريف الإستعداد صادق الحالات حصل له من ذلك وقائع حسنة وإمدادات جميلة في أول أمره ليتبين حاله وإستعداده قبل تلقينه ذكر الأم وإذا أراد الشيخ غير ذلك العدد بأزيد منه أو أقل على حسب نظره في المرید أو بغير ذلك كورد اللّهم يا ربّ محمّد صل على محمّد و آل محمّد وإجز محمّداً عنّي ما هو أهله ألفاً أو كما يرى بأزيد أو أقل أو سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم أستغفر الله وقال في السبط المعين في فضل الذكر والتلقين بعد توبته يستغفر الله مائة ألف مرة فإذا أتمّها صلى على النبي صلى الله عليه وسلم بهذه الصفة مائة ألف مرة و هي اللّهم صل على سيدنا محمد الحبيب وعلى آله وصحبه وسلم فإذا أتمّها لقنه ذكر الأم وقال بعضهم من مستحسناته أن يستغفر الله سبعين ألف مرة ثمّ يسبح مائة ألف مرة ثمّ يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم مائة ألف مرة ثمّ يلقنه ذكر الأم فكل هذه مفاتيح خزائن الله تعالى فهو مفاتيح الطريق في قلوب عباده المسترشدين به إليه وبعد ذلك يلقنه الذكر صباح الثلاثاء إن كان مقيماً أو ليلته إن كان

مسافراً فإن ضاق وقته أمره بالوضوء وصلاة ركعتين لله بقصد التوبة ويهدي ثواب ذلك لأهل السلسلة جميعاً وللنبي صلى الله عليه وسلم ويستمد منهم العون والفتح والقبول من الله عز وجل ويوصيه بما يليق به إن كان متجرداً للعبادة أو كان متسبباً فيكون كما يراه له فإن كان مسافراً جعل له من ذكر الأم ورداً معيناً لا يخل به على قدر ما يراه لأنه طبيبه و دليله و مصباحه في طريقه و به يصح إنتسابه إليه في الطريق وأهلها ويكون وارثاً فيه له و حياة نفسه بعد التلقين مع الجد والاجتهاد * **وقد ورد في الخبر من بطيء به عمله لم يسرع به نسبه*** (مسلم ٢٦٩٩/١٧ عن أبي هريرة) فيحصل له بعد ذلك الامداد بقدر الاستعداد وإعلم أن التلقين للذكر أولاً كالبذرة تغرس لتنتبت فروعها بعد ثبوت أصلها في قلب الذاكر فيمد بالورد منها بقدر همته والذكر نفسه مفتاح الفلاح ومصباح الأرواح وينبغي للشيخ أن يذكر للمريد عند التلقين نسبه لئلا يجهل المرید آباءه إذا كان المرید لا يعرف سند الطريق وسلسلة القوم أو كان هناك من لا يعرف ذلك لأن من لا يعرف نسبه فهو لقيط في الطريق وربما إنتسب لغير أبيه لقوله تعالى إدعوهم لأبائهم هو أقسط عند الله والمراد بمعرفة الآباء الاقتداء بهم في الاخلاق الشرعية وقال سيدي عمر بن الفارض نسب في شرع الهوى أقرب بيننا من نسب أبوي وذلك لأن الروح ألصق بك فأبو الروح يليك وأبو الجسم بعده فكان بذلك أحق بأن تنتسب إليه دون أبي الجسم وورد أن المرء ابن دينه وقد درج السلف الصالح كلهم على تعليم المريدين آداب آبائهم ومعرفة أنسابهم وصرح في القول المتين في فضل الذكر والتلقين أن ذكر سند التلقين مقدّم عليه بخلاف سند إلباس الخرقة و قال الشعراني في مدارج السالكين بعكس ذلك ولنذكر سلسلة القوم هنا تبركاً وليقف عليها المرید الذي لم يرها فنقول لقن رب العزة جبريل عليه السلام وهو لقن النبي صلى الله عليه وسلم و هو لقن علياً بن أبي طالب كرم الله وجهه و هو لقن ابنه الحسن والحسين والحسن البصري وكمال بن زياد والحسن البصري لقن حبيباً العجمي وهو لقن داوود بن نصير الطائي و هو لقن معروف بن فيروز الكرخي وهو لقن السري بن مفلح السقطي و هو لقن الجنيد ابن محمد سيد الطائفة البغدادي وهو لقن محمد الدينوري و هو لقن محمد البكري و

هو لقن وجيه الدين القاضي وهو لقن عمر البكري وهو لقن أبا النجيب السهروردي وهو لقن قطب الدين الأبهري وهو لقن ركن الدين محمد النجاشي وهو لقن شهاب الدين محمد الشيرازي وهو لقن سيدي جمال التبريزي وهو لقن ابراهيم الزاهد الجيلاني وهو لقن محمد الخلوتي وهو لقن محمد امبرام الخلوتي وهو لقن الحاج عز الدين وهو لقن صدرالدين الخيالي وهو لقن سيدي يحيى الباكوري صاحب ورد الستار وهو لقن سيدي محمد بهاء الدين الشيرواني و يقال له الارزنجاني وهو لقن جليبي سلطان الاقسداي الشهير بجمال الخلوتي وهو لقن خير الدين التوقادي وهو لقن الشيخ شعبان القسطنوني وهو لقن سيدي عمر الفؤادي وهو لقن إسماعيل الجرومي المدفون بالقرب من مرقد سيدي بلال الحبشي بديار الشام وهو لقن علي قرا باشا أفندم وتخلّف عن وليه الشيخ مصطفى الطبراني هو الذي أجازته بالإرشاد وهو لقن الشيخ عبد اللطيف الخلوتي الحلبي وهو لقن وأرشد قطب الوجود مصطفى بن كمال الدين الصديقي صاحب ورد سحر وهو لقن قطب زمانه و فريد عصره وأوانه شيخنا الشمس الحفني و هو لقن العبد الفقير محمد بن حسن السمنودي الشهير بالمنير و لقن ايضاً سيدي محمد بن عبدالله الشنتاوي ولقن سيدي حسين المصليحي و وقع الفتح الأكبر.

أولئك آبائي فجئني بمثلهم إذا جمعنا يا جرير المجامع

وكيفية العهد أن يضع الشيخ يده في يد المرید بعد طهارة كل منهما ويجعل راحته على راحته ويقبض إبهامه كما نُقلَ عن شيخ الإسلام ويستعيد بالله من الشيطان الرجيم ويستغفر الله تعالى ويأمر المرید بذلك ويأمره بالتوبة ثم يقرأ (يا أيها الذين آمنوا ثوبوا إلى الله توبة نصوحا عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم إن الذين يبأيعونك إنما يبأيعون الله) (التحریم-٨) (وأوفو بعهد الله إذا عاهدتم) (النحل-٩١) ويدعو له ثم يقول اللهم أعنه واحفظه وتقبل منه وإفتح له باب كل خير كما فتحت على أنبيائك وأوليائك

ويقولُ اللَّهُمَّ إقْبِلْنَا وَتَقَبَّلْ مِنَّا وَانْفَعْنَا وَإِنْفَعْنَا وَارْشِدْنَا وَارْشِدْنَا وَأَصْلِحْنَا
 وَأَصْلِحْ بِنَا اللَّهُمَّ أَرْنَا الْحَقَّ حَقًّا وَالْهَمْنَا إِيثَاعَهُ وَأَرْنَا الْبَاطِلَ بَاطِلًا وَإِرْزُقْنَا إِجْتِنَابَهُ. اللَّهُمَّ
 إِقْطَعْ عَنَّا كُلَّ قَاطِعٍ يَقْطَعُنَا عَنْكَ وَلَا تَقْطَعْنا عَنْكَ وَلَا تُشْغِلْنَا بِغَيْرِكَ ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُ عَلَى مَا
 نَقُولُ وَكَيْلٍ وَيَقْرَأُ الْفَاتِحَةَ وَكَيْفِيَّةَ التَّلَقِينَ أَنْ يَجْلِسَ بَيْنَ يَدَيْهِ عَلَى رُكْبَتَيْهِ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ بَعْدَ
 صَلَاةِ رُكْعَتَيْنِ وَتَوْبَةٍ كَمَا تَقَدَّمَ وَعَلَى مَا تَقَدَّمَ ثُمَّ يُطْرُقُ الشَّيْخَ رَأْسَهُ وَيَدْعُو سِرًّا بِالْفَتْحِ وَهُوَ
 وَاضِعُ يَدِهِ عَلَى رُكْبَةِ نَفْسِهِ وَكَذَا الْمُرِيدُ وَكُلُّ غَاضٍ بِصَرِهِ وَيَقُولُ لَهُ إِسْمِعْ مِنِّي ذِكْرَ الْجَلَالَةِ
 ثَلَاثَ مَرَّاتٍ وَقُلْ أَنْتَ بَعْدَ ذَلِكَ ثَلَاثًا وَأَنْتَ مُعْمَضُ عَيْنِيكَ وَأَنَا أَسْمِعُ مِنْكَ ثُمَّ يَسْتَأْذِنُ الشَّيْخَ
 وَيَطْلُبُ الْمَدَدَ مِنْ أَهْلِ السَّلْسِلَةِ وَيَقُولُ دَسْتورُ يَا أَهْلَ هَذَا الشَّأْنِ دَسْتورُ يَا أَصْحَابَ الْقَدَمِ
 دَسْتورُ يَا قُطْبَ الزَّمَانِ وَيَلْقَنَهُ فَإِذَا اجْتَمَعَ عَهْدٌ وَتَلَقَيْنَ قَدَمَ الْعَهْدِ وَيَدْعُو لِلْمُرِيدِ بَعْدَ ذَلِكَ
 بِنَحْوِ مَا تَقَدَّمَ ثُمَّ يُوَصِيهِ الشَّيْخُ بَعْدَ ذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يَقُومَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَهِيَ نَتِيجَةُ الْعَهْدِ فَيَقُولُ
 إِسْمِعْ مِنِّي وَصِيَّتِي إِلَيْكَ وَإِعْمَلْ بِهَا كَمَا أَلْزَمْتَ نَفْسَكَ عَهْدَ اللَّهِ وَمِيثَاقَهُ أَنْ تَتَّقِيَ اللَّهَ فِي سَائِرِ
 أَحْوَالِكَ وَتُخْلِصَ فِي جَمِيعِ أَعْمَالِكَ وَلَا تَلْتَفِتْ لِنَظَرِ الْخَلْقِ إِلَيْكَ فِي مَدْحٍ وَذَمٍّ بَلْ غِيبْ عَنْهُمْ
 بِنَظَرِ اللَّهِ تَعَالَى وَإِطْلَاعِهِ عَلَى سِرِّكَ وَعِلَانِيَّتِكَ وَعَلَيْكَ بِإِتِّبَاعِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ فَإِنَّهُمَا الطَّرِيقُ
 الْمَوْصِلُ إِلَى اللَّهِ وَإِعْمَلْ مُتَّجِرِدًا عَنْ حَظوظِ نَفْسِكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَا تَعْمَلْ لِمُلاحِظَةِ
 الْكِرَامَاتِ وَلَا خَوْفًا مِنْ عِقَابِ اللَّهِ وَلَا طَمَعًا فِي ثَوَابِهِ بَلْ بِقَصْدِ رِضَا اللَّهِ عَنْكَ وَمَحَبَّةِ الْيَكِ
 وَرَفْعِ الْحِجَابِ عَنْكَ وَالْقِيَامِ بِحُقُوقِ الْعُبُودِيَّةِ وَإِعْلَمْ أَنَّ الثَّوَابَ لَا شَكَّ حَاصِلٌ لَكَ وَتَحْصِيلُ
 الْحَاصِلِ عِبْتٌ وَعَلَيْكَ بِالزُّهْدِ فِي الدُّنْيَا إِلَّا مَا سَتَرَ عَوْرَةً أَوْ آوَى الْجُنَّةَ وَسَدَّ الْجَوْعَةَ فَإِنْ
 زِدْتَ عَنْ ذَلِكَ فَإِيَّاكَ وَالغُرُورُ وَعَلَيْكَ بِالْوَرَعِ عَنْ كُلِّ مَا فِيهِ شُبْهَةٌ وَعَلَيْكَ بِكَفِّ الْأَذَى إِنْ
 أُوذِيتَ وَعَلَيْكَ بِالصَّبْرِ فَإِنَّهُ رَأْسُ الْعِبَادَةِ وَعَلَيْكَ بِالرِّضَى عَنِ اللَّهِ بِقَوْلِهِ وَبِفَعْلِهِ بِكَفِّ لِسَانِكَ
 عَمَّا لَا يَعْنيكَ وَعَلَيْكَ بِالثَّقَّةِ عَلَى كُلِّ حَالٍ وَفِي كُلِّ حَالٍ وَالتَّوَكُّلُ عَلَى اللَّهِ وَالشُّكْرُ وَعَلَيْكَ
 بِذِكْرِ الْمَوْتِ فَإِنَّهُ أَسَاسُ الزُّهْدِ وَإِيَّاكَ وَالْمَخَاصِمَةَ وَالْمُجَادَلَةَ وَالْمَمَارَاةَ وَإِنْ كُنْتَ مُحِقًّا وَإِيَّاكَ
 وَالبَغْيَ وَحُبَّ الْمَدْحِ وَالشُّهْرَةَ بِالْخَيْرِ وَعَلَيْكَ بِالتَّزَامِ الْأَدْبِ مَعَ كُلِّ مَخْلُوقٍ وَإِعْلَمْ أَنَّ لِكُلِّ
 مُسْلِمٍ بَرَكَتَةٌ وَسِرٌّ عَظِيمٌ وَلَا تَيَاسُ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ وَفَرَجِهِ وَإِنْ ضَاقَتْ بِكَ الْأُمُورُ فَإِنَّ اللَّهَ
 يَقُولُ إِنْ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا إِنْ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا وَلَنْ يَغْلِبَ عُسْرٌ يُسْرَيْنِ وَلَا تَشْكُو اللَّهَ إِلَى أَحَدٍ

من خَلَقَهُ فَإِنَّهُ الْمُعَافِي والمُبْلِي و القابض والباسط والمضر والنافع وتكون في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل وتتفقد ما في يدك من مكاسب الحرام وتجتهد في مكاسب الحلال وتترك ما يقطعك و يلهيك عن عبادة الله و ألزم قلبك التفكير في مصنوعات الله و تعود نفسك السهر وتجعل الذكر انيسك والحزن جليسيك و الزهد شعارك و الورع دثارك والصمت قرينك وإقطع نهارك بالجوع والظماً وليك بالسهر والبكاء والتفكر في ذنوبك السالفة ومثل الجنة عن يمينك والنار عن يسارك والصراط تحت قدميك والميزان بين يديك والرب مطلع عليك يقول إقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً وإستعمل ما هو نافع لك في دينك ودنياك وهي الطاعة ودع ما هو مضر وهي المعصية. وإعلم أنّ الله يقول فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره و من يعمل مثقال ذرة شراً يره و ترك المعصية أولى من التوبة من الذنب قال بعضهم شعراً :

فرض على الناس أن يتوبوا لكن ترك الذنوب أوجب
والدهر تصريفه عجيب وغفلة الناس عنه أعجب
والصبر في النائبات صعب لكن فوت الثواب أصعب
وكل ما ترتجي قريب والموت من ذاك أقرب

الباب الثاني في الذكر و آدابه و الحث على استعماله

إعلم أن الذكر هو ترداد اسم المذكور بالقلب واللسان ولا شيء اقرب لطريق الوصول إلى الله عز وجل منه فهو علم على وجود ولاية العبد المشتغل به فمن وفق للذكر أعطي منشور الولاية ومن سلب عنه الذكر فقد عزل عن الولاية قال بعضهم شعراً :

والذكر أعظم باب أنت داخله لله فإجعل له الأنفاس حراسا

قال الاستاذ القشيري الذكر عنوان الولاية و معيار الوصلة و علامة صحة البداية ودلالة ضياء النهاية وليس وراء الذكر شيء و جميع الخصال المحمودة راجعة الى المذكور ومنشؤها من الذكر قال بعضهم إذا أراد الله أن يولي عبده فتح له باب ذكره فإذا إستلذ بذكره فتح له باب القرب ثم رفعه الى مجالس الأنس بالله ثم أجلسه على كرسي التوحيد ثم رفع عنه الحجب وأدخله دار القرب و كشف له الجلال والعظمة فإذا وقع نظره و بصره على الجلال و العظمة خرج من حسه و دواعي نفسه فكان تحت حكم ربه لا تحت حكم نفسه. وقد ورد الحث على ملازمة الذكر قال تعالى: (فإذكروني أنكركم)(البقرة-١٥٢) (و إذكروا الله ذكراً كثيراً)(الاحزاب-٤١) (فإذكروا الله كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون)(البقرة-٢٣٩)(ولذكر الله أكبر)(العنكبوت-٤٥)(وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين)(الذاريات-٥٥) (الذين يذكرون الله قياماً و قعوداً و على جنوبهم)(آل عمران-١٩١) إلى غير ذلك من الآيات و *قال صلى الله عليه و سلم: قال الله تعالى في الحديث القدسي: أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه حين يذكرني إن ذكرني في ملاء ذكرته في ملاء خير من ملئه و إن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي و إن تقرب مني شبراً تقربت منه ذراعاً و إن تقرب مني ذراعاً تقربت منه باعاً و إن أتاني يمشي أتيته هرولة* (البخاري ٦٩٧٠/٤ عن أبي هريرة) *وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: من عجز منكم عن الليل أن يكابده و جبن عن العدو أن يقاتله و بخل بالمال أن ينفقه فليكثر ذكر الله* (البيهقي في شعب الإيمان ١/٥٠٨) *وقال صلى الله عليه و سلم: الا أخبركم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليكم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من إنفاق الذهب والفضة وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم و يضربوا أعناقكم قالوا بلى يا رسول الله قال ذكر الله* (سنن الترمذي ٣٣٧٤/٩ عن أبي الدرداء) *وعن جابر خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن في مسجد المدينة فقال: إن لله سرايا من الملائكة تجول وتقف في مجلس الذكر فإذا رأيتم رياض الجنة فارتعوا قالوا وما رياض الجنة يا رسول الله قال مجالس الذكر إغدوا و روحوا في ذكر الله و من كان يحب أن يعلم منزلته عند الله فلينظر كيف منزلة الله عنده

فإن الله ينزل العبد حيث أنزله من نفسه* (الحاكم في المستدرک ٤٩٤/١ عن جابر) *قال عبد الله بن بشير أتى رجل إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال يا رسول الله إن شرائع الإسلام كثرت عليّ فأمرني بشيء أتثبت به فقال رسول الله لا يزال لسانك رطباً بذكر الله تعالى* (سنن ابن ماجه ٣٧٩٣/٢) *و في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال إن الله يقول عبدي إذكرني ساعة بالغداة و ساعة بالعشي أكفك ما بينهما* (حلية الأولياء لأبي نعيم ٢١٣/٨) *و قال صلى الله عليه و سلم: مثل الذي يذكر الله و الذي لا يذكر الله مثل الحي و الميت* (البخاري ٦٠٤٤/٤ عن أبي موسى) *و قال صلى الله عليه و سلم: ليس يتحسر أهل الجنة إلا على ساعة مرت بهم و لم يذكروا الله فيها* (الطبراني في الكبير ١٨٢/٢٠ عن معاذ بن جبل) *و قال صلى الله عليه و سلم: ما من قوم جلسوا مجلساً و تفرقوا منه و لم يذكروا الله فيه إلا كأنما تفرقوا عن جيفة حمار و كان عليهم حسرة يوم القيامة* (سنن أبي داود ٤٨٥٥/٤ عن أبي هريرة) *و قال صلى الله عليه و سلم: من أكثر ذكر الله أحبه الله تعالى* (فيض القدير ٨٥١٠/٦ عن عائشة) *و قال صلى الله عليه و سلم: من أكثر ذكر الله برىء من النفاق* (شعب الإيمان للبيهقي ٥٧٦/١ عن أبي هريرة) *و قال صلى الله عليه و سلم: لذكر الله بالغداة و العشي خير من حطم السيوف في سبيل الله تعالى* (مسند الفردوس للدلمي ٥٤٠٢/٣) *و قال صلى الله عليه و سلم: ما اجتمع قومٌ في بيتٍ من بيوتِ الله يتلونَ كتابَ الله ويتدارسونه بينهم ؛ إلا نزلتْ عليهمُ السكينةُ وغشيتهمُ الرحمةُ، وحقَّتْهُمُ الملائكةُ، وذكَّرَهُمُ اللهُ فيمَن عنده * (صحيح مسلم ٢٦٩٩/١٧ عن أبي هريرة) *و قال صلى الله عليه و سلم: أكثروا ذكر الله حتى يقولوا مجنونون* (مسند الإمام أحمد ٦٨/٣ عن أبي سعيد) *و قال صلى الله عليه و سلم: أكثروا ذكر الله حتى يقول المنافقون إنكم مراؤون* (فيض القدير ١٣٩٨/٢ عن أبي الجوزاء مرسلًا).

و أنشد بعضهم :

حنين قلوب العارفين إلى الذكر وتذكراهم عند المناجاة بالعسر
واجسامهم في الارض سكرى بحبه وأرواحهم في نيل حجب العلا تسري

فظلوا عكوفاً في الفيافي و في القفر	عباد عليهم رحمة الله أنزلت
بإدمان تثببت اليقين مع الصبر	وراعوا نجوم الليل لا يرقدونه
وتعقل من مولاك آداب من يدري	فهذا نعيم القوم إن كنت فاهما
وما ضجروا من مس بؤس و لا ضير	فما غرسوا إلا بقرب حبيبهم
فأغفوا عن الدنيا كماغفاء ذي سكر	أديرت كؤس للمداما عليهم
وهم أهل ود الله كالأنجم الزهر	همومهم جالت لهم حجب العلا
تحن الى التقوى و ترتاح في الذكر	فلا عيش إلا مع أناس قلوبهم

وقال بعضهم الذكر سيف المرید يقاتل به أعداءه من الجن والانس وتدفع به عنه الآفات التي تطرقه وقال بعضهم من ذكر الله حفظه الله ومن خصائص الذكر أنه غير مؤقت بوقت فما من وقت إلا والعبد مطلوب فيه بالذكر إما وجوباً وإما ندباً بخلاف غيره من الطاعات وأنشد بعضهم :

وذكر الله يحسن كل وقت	فحصل حاجة و إرجع اليه
فمن ينفع أخاه بفعل خير	مع الأذكار لم ينكر عليه

فينبغي للعبد أن يكثر منه في كل حالاته فيستغرق فيه جميع اوقاته وليس له أن يتركه لوجود غفلة فإن تركه له أشد من غفلاته فيه فعليه أن يذكر وإن كان غافلاً فلعل ذكره مع وجود الغفلة يرفعه إلى الذكر مع وجود اليقظة وهذا نعت العقلاء ولعل ذكره مع وجود اليقظة يرفعه إلى الذكر مع وجود الحضور مع المذكور وهذا صفة العلماء و لعل ذكره مع وجود الحضور يرفعه الى الذكر مع وجود الغيبة عن سوى المذكور و هذه مرتبة العارفين

المحققين من الأولياء قال تعالى: (وإذكر ربك إذا نسيت) (الكهف-٢٤) أي نسيت غيره وأشار بعضهم إلى هذا المعنى فقال :

بذكر الله تبتهج القلوب وتتضح السرائر و الغيوب

لأن الذكر أفضل كل شيء فشمس الذات ليس لها غيوب

فتترك ذكر الغير هو أساس كل خير فإن نسيت ما سواه به كنت ذاكراً لله حقاً و في هذا المقام ينقطع ذكر اللسان ويكون العبد محموداً في وجود العيان و أنشد بعضهم فقال :

أيها الطالب معنى حسننا مهزنا غال لمن يخطبنا

جسد مضنى و قلب في العنا و عيون لا تذوق الوسنا

وفؤاد ليس فيه غيرنا فإذا ما شئت أد الثمنا

وإفن إن شئت فناء سرمدنا فالبقا يدني الى فاك الغنا

وإخلع النعلين إذا جئت إلى ذلك الحى ففيه قد سنا

وعن الكونين كن منخلعا وأزل من بيننا من بيننا

فإذا قيل لمن تهوى فقل أنا من أهوى و من أهوى أنا

وقال الواسطي مشيراً الى هذا المقام الغافلون في ذكره أشد من غفلة من الناسين لذكره وهذا من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين وقد وصف الله قلب أم موسى بمعنى ذلك فى قوله تعالى وأصبح فؤاد أم موسى فارغاً من كل شيء إلا من ذكر موسى فكادت أن تبدي به من غير قصد منها لذكره ولا تدبر بل كان تركها للتصريح بذكره صبراً بما ربط الله على قلبها لتكون من المؤمنين (تنبيهه) ذكر الحروف بلا حضور ذكر اللسان وذكر الحضور

في القلب هو ذكر القلب وذكر الغيبة عن الحضور في المذكور هو ذكر السر فأولى ما يكون الذكر أولاً باللسان ثم يستولي على القلب ثم يستغرق بالمذكور و قال :

ولما رفعنا الستور بمجلس
وظافت علينا من هنا مدامة
وتخامر ارباب العقول بحسنها
فلمما شربنا بأفواه كشفنا
و غبنا بها عنا و نلنا مرادنا
و خاطبنا في سكرنا عند صحونا
تجلى لنا حتى رأيناه جهرة
وضاءت لنا من عالم الغيب أسرار
يطوف من حضرة الله خمار
فتبدي لنا عند المسرة أسرار
أضاءت لنا منها شمس و أقمار
و جاءت الينا بالبشائر أخبار
ولم يبق منا بعد ذلك آثار
كريم قديم فائض الجود جبار
بعين فؤاد لا تواريه أستار

قال الغزالي رحمه الله الذكر حقيقة هو استيلاء المذكور على القلب وإنحاء الذاكر في الذكر لكن له ثلاثة قشور بعضها اقرب من بعض الى اللب واللب وراء القشور الثلاثة وانما فضل القشر لأنه طريق اليه فالقشر الاعلى ذكر اللسان فقط فلا يزال الذاكر يوالي الذكر بلسانه ويتكلف استحضار القلب معه حتى يحضر و لو تركه لاسترسل في أودية الافكار حتى يشارك القلب اللسان فعند ذلك تمتلىء الجوانح و الجوارح بالأنوار و يطهر القلب من دنس الأغيار و ينقطع الوسواس والذكر له مراتب فيكون أولاً باللسان ثم بالقلب ثم بالنفس ثم بالروح ثم بالعقل ثم بالسر و رزق الظاهر بحركة الاجسام و رزق الباطن بحركة القلوب و رزق الاسرار بالسكوت و رزق العقول بالغنى عن السكوت حتى يكون العبد ساكناً مع الله وليس في الأغذية قوة في الارواح وإنما هي غذاء الاشباح وقوة الارواح والقلوب ذكر علام الغيوب قال تعالى: (ألا بذكر الله تطمئن القلوب)(الرعد-٢٨) فإذا ذكرت

الله بلسانك ذكر مع لسانك الجمادات كلها فإذا ذكرته بقلبك ذكر مع قلبك الكون وما فيه من عوالم الله وإذا ذكرته بروحك ذكر معك حملة العرش ومن طاف به من الملائكة الكروبيين والارواح المقربين وإذا ذكرت بسرك ذكر معك من فوقهم من العوالم الى أن يصل الذكر بالذات العلية المقدسة المنزهة (تنبيه) إذا ذكر الشخص بلسانه ونظر بقلبه الى الله ودام على هذا الوجه يحدث في أعضائه و مفاصله نوع من وجع ويأخذ في قلبه الوجع مع قليل حرق اللهم لا تحرق طالبيك من هذا الوجع و وفقهم أن يشكروك عليه وهذه الاوجاع منشؤها أن الذكر يقطع الذات والحفظ الذي تمكنت في قلبه وأعضائه وجوارحه أيام الغفلة فيكون هذا بداية نفوذ الذكر في قلبه فإذا زادت مواظبته على الذكر يصل أثر ذلك الى الروح فيذكر الروح ويجلس على سرير القلب بالخلافة ويحكم على الحواس الظاهرة والباطنة فتت عزل النفس وتكون من دعايا الروح ثم يصل ذلك الى السر ومن خواص الذكر إذا داوم المرید عليه ان يصل أثره الى جميع الأعضاء ويظهر تصرفه في الجوارح والاعضاء فإذا وصل الى عضو يحدث فيه ضربان مثل ضربان العروق النافضة و تكثر الاختلاجات حتى لا يبقى منه جزء من لحمه ولا من عظمه إلا ويجد فيه حركة وإختلاجاً وقد تقوى مع الملازمة على الذكر حتى تصير أصواتاً وكلاماً حتى يسمع العبد من جميع جوارحه وأجزائه أصواتاً بل يسمع من قلبه الله أسماء وأذكار لم يسمعها قط من احد ولا رآها في كتاب بعبارات مختلفة و ألسن متتابعة لم يسمعها ملك و لا آدمي و في ذكر القلب و الاستحضار يرد على الذاكر أحوال يتوهم أنه يربو و يعظم حتى كأنه اكبر من كل شيء ثم يرد عليه من الحق قهر من الخوف فيرجع لحاله الاول وها هنا يخاف عليه من النفس والشيطان فيقصر في الذكر بالتصريح فيرجع فتأخذ روزنة قلبه في الانسداد كما اخذت في الانفتاح بالتدريج حتى تنسيه بالكلية فتكون تحت القهقري ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى ومن عرف طريقاً ثم أعرض عنها عذبه الله عذاباً أليماً لم يعذبه أحداً من العالمين وهذا أقبح من الامتناع من المشروع إذ مثله مثل من كفر بعد أن آمن فيجب على الطالب أن يكون ذكر الأم هذا نصب عينيه ولا يصرف نفسه عنه

طرفة عين و يستوعب جميع اوقاته في الذكر و يجتهد أن لا يخلو نفس من أنفاسه من ذكر الله تعالى وليتقرب إلى الله بأفضل الاعمال وأفضلها عنهم أن يسلم نفسه إلى ذكر الله ويفنى فيه حتى يغيب عن جميع الاشياء حتى عن نفسه وعن الذكر بالمذكور وأنشد بعضهم فقال :

إذا لم يكن معنى حديثك لى يروى فلا مهجتي تشفي و لا كبدي يقوى

نظرت فلم أنظر سواك أحبه ولولاك ما طاب الهوى للذي يهوى

و لما إجتلاك الفكر في خلوة الرضى وعانيت قال الناس ضلت بك الالهوى

لعمرك ما ضل المحب و ما غوى ولكنهم لما عموا أخطوا الفتوى

ولو شاهدوا معنا جمالك مثل ما شهدت بعين القلب ما أنكروا الدعوى

خلعت عزاري في هواك و من يكن خليع عزار في الهوى سره نجوى

ومزقت ثياب الرقاد تهتكاً عليك و طابت في محبتك البلوى

فما في الهوى شكوى ولو مزق الحشا و عار على العشاق أو يظهروا الشكوى

وما علموا في الحب داء سوى الهوى وعندي أسباب الهوى كلها أدوى

فإذا فني الذاكر عن حسه و دواعي نفسه و لم يبق فيه غير الله صار القلب بيت الحق فيخرج الذكر من غير قصد و لا تدبر و كلفة فحينئذ يكون الحق المبين لسانه الذي ينطق به و يده التي يببطش بها و رجله التي يمشي بها و أذنه التي يسمع بها قد إستولى العلي الجواد على الفؤاد فملكه و على الجوارح فصرفها فيما يرضيه و على الصفات من العبد فقلبها كيف شاء في مرضاته فلذلك يخرج الذكر من غير تكلف و تتبعه الاعمال بالطاعات لذة و نشاطاً ثم قال بعضهم في المعنى :

لما تصافينا المحبة بيننا صرنا ومن نهوى كشيء واحد

لا زلت أقرب منه حتى صار لي
بصراً وسمعاً حيث كنت و ساعدي
فإذا رأيت فلا أرى إلا به
وإذا بطشت فلا يزال مساعدي
إن شئت شاء وإن أمرت فأمره
أمري لقد بلغت كل مقاصدي
فأنا الذي أهوى ومن أهوى أنا
ما شاء يصنع حاسدي ومعاندي

فإذا لازم الشخص الذكر إستبدل الذكر الأنسي بالذكر القدسي وترقى من ضيق فإذكروني
الى فضاء أذكركم فيزداد بالشرب عطشاً و بالقرب من المذكور شوقاً الى القرب منه و في
المعنى قال :

يزيد ظمآن كلما زاد شربه
من الحب فأعجب من ظمآن بالشرب
وأعجب منه قربه لحبيبه
ويزداد بالقرب إشتياًقاً الى القرب
فلا الشرب يروي و القرب يشتفي
به القلب بل يزداد كرباً على كرب
وليس فناء القلب إلا فناؤه
بأحبابه فإسلك به مسلك الحب

و حيث لازم الذاكر همته في الذكر و لم يلتفت الى الواردات و لا الى الكرامات و لم
يلاحظها نال المراد و تردد عليه علوم كثيرة حتى يظن أنه فتح عليه بعلوم الاولين و
الآخرين فإذا لاحظ ما يرد عليه من العلوم فهو سوء أدب فيستحق العقوبة و عقوبته في هذه
الحالة أن يرد الى حال الفهم و الفرق بين حال الفهم و العلم أن العلم وجود يرد على القلب
من حيث العلم و الفهم نظر الى ذلك العلم فإذا نظر الى الفهم فقد أساء ادبه و عقوبته أن يرد
إلى حال الغفلة ثم أعلم أنه لا يحصل لك الفتح إلا بالتخلق بآداب الذكر لأن كل عبادة خلقت
عن الادب فهي قلة الجدوى و أجمع الاشياخ على أن العبد يصل بعبادته الى حصول
الثواب و دخول الجنة و لا يصل الى حضرة ربه إلا إن صحبه أدب في تلك العبادة و من
المعلوم أن مقصود القوم القرب من حضرة الله الخاصة المصطلح عليها عندهم و مجالسته

فيها من غير حجاب و أما الثواب فحكمه عندهم كحكم علف البهائم *قال تعالى: أنا جليس من ذكرني* (ذكره أبو نعيم في الحلية ٣٧/٦) يعني ذكرني على وجه الادب و الحضور *و قال عليه الصلاة و السلام: أدبني ربي فأحسن تأديبي* (كنز العمال ١٨٦٧٣/٧) و المراد بالمجالسة إنكشاف الحجب للعبد أنه بين يدي ربه عز و جل و هو يراه و مطلع عليه فمتى أدام العبد هذا الشهود فهو جليس الله فإذا غاب عن ذكر الشهود خرج من حضرة الله فإفهم فليس المراد بحضرة الله مكاناً مخصوصاً في السموات أو في الارض كما قد يتوهم للضعفاء فإن الله لا يحويه مكان و لا يمر عليه زمان تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً و أنشد بعضهم في هذا المعنى :

ولما تجلى من أحب تكرماً	وأشهدني ذلك الجمال المعظماً
تعرف لي حتى تيقنت أنني	أراه بعيني جهرة لا توهما
وفي كل حال أجتليه و لم يزل	على طور قلبي حيث كنت مكلماً
وما هو في وصلي بمتصل و لا	بمنفصل عني و حاشاه منهما
وما قدر مثلي أن يحيط بمثله	وأين الثرى من رفعة البدر إنما
أشاهده في صفو سري فأجتلي	جمالاً تعالى الله عن أن يقسماً
كما أن بدر التمام ينظر وجهه	بضوء غزير و هو في أفق السما

وعدّ بعضهم للذكر ألف أدب لكن قالوا يجمع هذه الآداب كلها عشرون أدباً فمن لم يتخلق بها فيبعد عليه الفتح فإعلم أن منها خمسة سابقة على الذكر وإثني عشر حال الذكر وثلاثة بعد الفراغ من الذكر فأماً الخمسة التي هي سابقة على الذكر فأولها (التوبة) وحققتها الرجوع يقال تاب إذا رجع وشرعاً الرجوع إلى الله عن ما هو مذموم في الشرع إلى ما هو محمود فيه وشرطها الندم على ما عمل من المخالفات والإقلاع في الحين والعزم على أن

لا يعود فإن تعلقت بآدمي إشتراط عليه ردّ المظالم إلى أهلها وهي واجبة على الفور قال تعالى:

(يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا) (التحريم-٨) وقال تعالى: (وتوبوا إليّ جميعاً أيها المؤمنون) (النور-٣١) فالتوبة تمحو الذنوب وتقرب المحبب من المحبوب وتمحو ما قبلها قال تعالى: (إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيماً) (الفرقان-٧٠) *وقال صلى الله عليه وسلم: التائب من الذنب كمن لا ذنب له* (الطبراني في الكبير ٧٧٥/٢٢ عن أبي سعيد) *وفي الخبر قل للظالمين لا يذكروني فإنّ ذكري عليهم وبال* أي الذين لم يتوبوا من الأقوال والأفعال والأحوال وزاد بعضهم في الشروط ترك خلانّ السوء وهم الذين كانوا يعصون الله معهم قبلها *وقال صلى الله عليه وسلم: مثل الجليس الصالح والسوء كحامل المسك ونافخ الكير ، فحامل المسك إما أن يُحذيكَ ؛ وإما أن تبتاعَ منه ؛ وإما أن تجدَ منه ريحاً طيبةً ، ونافخُ الكير إما أن يُحرقَ ثيابكَ ، وإما أن تجدَ منه ريحاً خبيثةً * (صحيح البخاري ٥٢١٤/٤ عن أبي موسى) وقال بعضهم من جالس ابن صنعة جرّه إلى صنعته فمن صحب أبناء الدنيا جذبوه إليها ومن صاحب أبناء الآخرة جذبوه إلى الآخرة ثم قال:

فمن عاشر الأشراف عاش مشرفاً ومن عاشر الأندال غير مشرف

أما تنظر الجلد الحقير مقبلاً من الفم لما صار جلدأ لمصحف

وقال أبو الليث السمرقندي من جلس مع ثمانية إبتلي بثمانية فمن جلس مع الأغنياء زاده الله حُبَّ الدنيا والرغبة فيها ومن جلس مع الفقراء زاده الله الشكر والرضا بما قسم له ومن جلس مع الصبيان زاده الله الحقر والمزاح ومن جلس مع النساء زاده الله الحب والشهوة ومن جلس مع السلطان زاده الله الكبر وقسوة القلب ومن جلس مع الفساق زاده الله تسوييف التوبة والجرأة على الذنوب ومن جلس مع العلماء زاده الله العلم والعمل به ومن

جلس مع الصالحين زاده الله الرغبة في الطاعة والزهد في الدنيا فلذ بالصالحين عسى أن تهتدي إلى الطريق المبين وقيل (التوبة) الرجوع عن الأقوال والأفعال والأحوال أقوال الألسنة وأفعال الجوارح وأحوال القلوب وإن شئت قلت أقوال المضلين وأفعالهم وأحوالهم لأن أقوالهم حجاب وأفعالهم نفاق وتباين الصواب وأحوالهم ذنوب تورث المقت والذل والعذاب من الملك الوهاب وأما (أحكام التوبة) فقلة الكلام وقلة المنام وقلة الطعام والعزلة بالقلب عن الأنام والمشى على شريعة خير الأنام وأما (علامة التوبة) أن تحي ما كان عندك ميتاً وتميت ما كان عندك حياً وتحضر من كان عندك غائباً وتغيب من كان عندك حاضراً تحي القلب بالتوحيد وتميت النفس عن هواها وتغيب أهل الدنيا وتحضر أهل الموت وتراقبه في كل يوم وليلة وتحذف الدنيا خلف ظهرك لأنها رأس كل خطيئة فمن رجع الذهب عن الزبل فهو لا يصدّق في توبته وكان ذو النون المصري يقول من ادعى حلاوة الذكر مع محبة الدنيا فكذبوه والتوبة هي الرجوع إلى الله كما أن بالموت رجوعاً بغير الإرادة لقوله تعالى (يا أيُّها النفس المطمئنة إرجعي إلى ربك) (الفجر-٢٧) وهو الرجوع من الذنوب كلها والذنوب ما يحجبك عن الله من مراتب الدنيا والآخرة فالواجب على الطالب الخروج من كل مطلوب سواه حتى الوجود وما جرى كما قيل: وجودك ذنب لا يقاس به ذنب. ولذا قال السيد البكري إستغفر الله من دعوى الوجود وقال يا مالك الملك أفني فيك وجودنا (الثاني) من الشروط (الطهارة الكاملة) من غسل أو وضوء (الثالث) السكون والسكوت ليحصل له الصدق في الذكر بأن يشتغل قلبه بالله ويقول الله بالفكر دون اللفظ حتى لا يبقى له خاطر مع غير الله ***لخبر إنَّ الله غيور لا يجب أن يذكر ويذكر معه غيره*** (كشف الخفا ١/٦٩٠) ثم يتبع اللسان القلب (الرابع) أن يستمدَّ عند شروعه بهمة شيخه بأن يشخصه بين عينيه ليكون رفيقه في السير ***لخبر التمسوا الرفيق قبل الطريق، والجار قبل الدار*** (كشف الخفا ١/٥٣١) (الخامس) أن يرى إستمداده من شيخه هو حقيقة من رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه الواسطة بينه وبينه ***لخبر اللهم ارحم خلفاننا قالوا : ومن هم خلفاؤكم ؟ قال : الذين يأتون من بعدي ؛ يروون أحاديثي وسنتي ويعلمونها الناس***

(الطبراني في الأوسط ٥٨٤٢/٦ عن علي) وأما الإثنا عشر التي في حالة الذكر (أولها) الجلوس على مكان طاهر كجلوسه في الصلاة (الثاني) أن يضع راحتيه على ركبتيه وإستحبوا جلوسه القبلة إن كان يذكر وحده وإن كانوا جماعة يتحلقون لقوله تعالى: **(واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا)** (آل عمران-١٠٣) (الثالث) تطيب مجلس الذكر وكذا الثياب بالروائح الطيبة ***لخبر تطيبوا فإني أحب الطيب والله يحبه وأخي جبريل*** (الرابع) الملبس الحلال النظيف قال السيد البكري في الوصيّة وملبسه حلال وأن يُطهّر باطنه بأكل الحلال فإن الذكر وإن كان ناراً يحرق الأجزاء الناشئة من الحرام ويأكلها إذا كان الباطن خالياً من الحرام والشبه تكون الفائدة أتم وأعظم في التنوير وأبلغ في إلقاء النور على النور ملاقاته الحرام تذهب الإنارة في التطهير (الخامس) إختيار المكان المظلم إن وجد من خلوة أو سرداب (السادس) تغميض العينين لتسدّ طرق الحواس الظاهرة وبسدّها تنفتح حواس القلب الباطنة (السابع) أن يخيل شخص شيخه بين عينيه ما دام ذاكراً وهذا عندهم من آكد الآداب فإن إستغنى عمّا تقدّم من الشروط التي لا يستغنى عن هذا الشرط لأن المرید يترقى به إلى الآداب مع الله والمراقبة له لأنّ من لا شيخ له فإمامه الشيطان (الثامن) الصدق في الذكر من غير رياء ولا عجب بأن يستوي عنده السرّ والعلانيّة لخبر الإثم ما كان في باطنك وكرهت أن يطلع الناس عليه (التاسع) الإخلاص وهو تنقية العمل وتصفيته من شوائب الرياء وبالصدق والإخلاص يصل الشخص إلى مقام الصديقية ***لخبر ما زال العبد يصدق في حديثه حتى يكتب عند الله صديقاً*** (صحيح مسلم ٢٦٠٧/١٦ عن ابن مسعود) (العاشر) أن يختار من صيغ الذكر لا إله إلاّ الله فإنّ لها أثراً عظيماً عند القوم لا يوجد في غيرها من سائر الأذكار وهي المسمّاة بذكر الأم فإنّ فنيت أهويته وشهوته كلّها فحينئذ يصلح أن يذكر الله بلفظ الجلالة فقط من غير نفي وما دام يشهد من الأكوان فذكره بالنفي والإثبات واجب عليه في إصطلاحهم لأنها مفتاح حقائق القلوب ويرتقي السالك بها إلى علام الغيوب ومن الناس من إختار موالة الذكر بحيث تكون الكلمات كالكلمة الواحدة لا يقطع بينهما خلل خارجي ولا ذهني كي لا يأخذ الشيطان منه فأبّه في مثل هذا الموضع بالمرصاد للذاكر لعله يضعف

لسانك عن هذه الأودية لا سيَّما إذا كانَ قريبَ العهد بالسلوك قالوا وهو أسرع فتحاً للقلب وتقريباً للرب ويكون قصد الذاكر بذكره تهليلات ما في القرآن جميعاً وتلاوتها وقال بعضهم تلاوة المدّ مستحسن مطلوب لأن الذاكر في زمن المد يستحضر في ذهنه جميع الأضداد والأفراد ثم ينفیها ويعقب ذلك بقوله إلاّ الله فهو أقرب إلى الإخلاص وعلى الذاكر أن يعرف عقائد الأم وشروط صحَّتها (الحادي عشر) إستحضار معنى الذكر بقلبه على إختلاف درجة المشاهدة في الذاكرين بشرط أن يعرض على شيخه كل شيء ترقى إليه من الأذواق ليعلمه كيفية الأدب فيه (الثاني عشر) نفي كلّ موجود من الخلق حال الذكر من القلب سوى الله بقوله لا إله الا الله فإن الحق تعالى غير لا يحب أن يرى في قلب الذاكر غيره ولولا أن الشيخ له مدخل عظيم وباب مستقيم في تأديب المرید ما ساع له أن يخيل شخصه بين عينيه وإنما اشترطوا نفي كل موجود في السكون من القلب ليتمكّن لهم تأثير لا إله إلاّ الله بالقلب ثم يسري ذلك المعنى إلى سائر الجسد و قال بعضهم في ذلك المعنى:

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى فصادف قلباً فارغاً فتمكّنا

وأجمعوا أنّ المرید يجب عليه أن يذكر بقوة تامّة جدّاً وإجتهد بحيث لا يبقى فيه متسع ويهتئز من مفرقه إلى أصبع قدميه وهي حالة يستدل بها الأشياخ على أن المرید صاحب همّة تامّة فيرجى له الفتح عن قريب إن شاء الله تعالى وكلّ من ليس له بداية محرقة ليس له نهاية مشرقة وإنّما وجب على المرید الجهر في الذكر مع ما ذكر لأن السر والهويّنا لا يفيدان رقياً *وقد جاء في الخبر أكثروا ذكراً الله تعالى حتى يقولوا : مجنون* (مسند الإمام أحمد ٦٨/٣ عن أبي سعيد) فيجب على المرید خلع العذار وترك الناس وراء ظهره قالوا ويجب عليه أن يصعد لا إله الا الله بالقلب اللّحمي الكائن بين عظم الصدر والمعدة ويميل رأسه إلى الجانب الأيسر مع حضور القلب المعنوي وأن يحضر معنى الذكر كل مرة بقلبه فإن كان الغالب عليه ظهور البشرية والوسواس فعليه أن يقول بلسانه لا إله الا الله وبقلبه لا معبود إلاّ الله ولصفاء القلب وطلب شيء من المعرفة والشوق والذوق فعليه أن يقول بلسانه

لا إله إلا الله وبقلبه لا مطلوب إلا الله ولنفي الخواطر كلها يقول لا إله إلا الله وبقلبه لا موجود إلا الله لمشاهدته له وليحذر من اللحن في لا إله إلا الله لأنها من القرآن قال تعالى: (ورتل القرآن ترتيلاً) (المزمل-؛) *وقال عليه السلام رب قارىء القرآن يلغنه* (احياء علوم الدين تلاوة القرآن) فهي كلمة من القرآن يجب تجويدها على ناليتها ومعرفة مبانيها ومعانيها فيمد على اللام بقدر الحاجة ويحقق الهمزة المكسورة بعد ولا يمدّ عليها أصلاً ويفتح هاء إله فتحة خفيفة ولا يفصل بين الهاء وبين إلا الله وإياك أن تتهاون في تحقيق همزة إله فإنك إذا لم تحققها قلبت ياء وكذا همزة إلا وتسكن آخر لفظ الجلالة وسيأتي مزيد تحقيق لذلك قال سيدي يوسف العجمي وما ذكره الأشياخ من هذه الآداب للذاكر محلّه في المرید الصاحي المختار المكف بالشرع أما مسلوب الإختيار فهو مع ما يردّ عليه من الأسرار والأذواق واللوامع والأنوار فقد يجري على لسانه الله الله هو هو أو لا لا أو آه آه أو عا عا أو ها ها و بي بي أو بوبو أو صوت بغير حرف أو إختباط أو إنصراف أو بكاء أو صراخ أو نحوه فأدابه عند ذلك التسليم للوارد يتصرّف كيف يشاء فإذا إنقضى من الوارد فأدابه السكوت من غير تعقل ولا تصنع مع السكوت ما إستطاع متلقياً للوارد فهو تحت حكم الوارد لا تحت حكم نفسه وحظّه وقد تنفّق هذه الأنواع للمرید الصادق في مجلس واحد فتتقلب عليه أحوال الواردات وهو ساكن لا يتحرّك لشجاعته.

وهذه الآداب تلزم الذاكر بلسانه مدّة عمارة باطنه أمّا الذاكر بقلبه فلا يلزم من ذلك شيء (فإن قيل) الذكر مفرد أنفع أو جماعة (فالجواب) إنه منفرداً أنفع لأصحاب الخلوة وجماعة أنفع لمن لا خلوة له (فإن قيل) هل الذكر جهراً أنفع أو السر (فالجواب) الجهر أنفع لمن غلبت عليه البشرية والوسواس والقسوة من أصحاب البدايات والسرّ أنفع لمن غلبت عليه الجمعية وشاهد الوحدة في الكثرة والكثرة في الوحدة من أصحاب السلوك (فإن قيل) أفراد لا إله إلا الله أفضل أم بزيادة محمد رسول الله (فالجواب) أفراد لا إله إلا الله أفضل للسالكين حتى تحصل لهم الجمعية مع الله بقلوبهم فإذا حصلت فذكر محمد رسول الله معها

أفضل وبيان ذلك أن محمداً رسول الله إقرار تكفي في العمر مرة واحدة والمقصود من تكرار التوحيد كثرة الجلاء للقلب فيزول الران والشبه والشرك الخفي ورؤية الأغيار بكثرة التوحيد فإذا زال ذلك حصلت له الجمعية والمعية مع الله ورسوله من غير فرق فيرى الوحدة ويرى فضلها لا غير فيحصل له كمال المشاهدة حينئذ يصلح له ذكرهما معاً وأماً الثلاثة الآداب التي عقب الذكر فأولها أن يسكن إذا سكت ويخشع ويحضر مع قلبه مترقباً لوارد الذكر فلعله يردُّ عليه وارد فيعمر وجوده في لمحة أكثر ما تعمره المجاهدة والرياضة في ثلاثين سنة وذلك أنه كان الوارد وارداً زاهداً فيجب عليه التمهُّل فيه حتى يتمكن فيه الزهد ويصير يتنَّصُّ إذا فتح عليه بشيء من الدُّنيا عكس ما كان عليه أولاً أو ورد عليه وارد تحمَّل أدى فيجب عليه التمهُّل فيه حتى يتمكن ويستحکم ويصير إذا قام عليه الوجود كلُّه بالأذى لا تتحرَّك منه شعرة كما لا يتحرَّك الجمل من نفخ ناموسة لأنه شاهد الأغيار أمثال أفياء في ذلك الوارد ورأى الله للكُلِّ فاعلاً وهكذا من وارد علم وفتح وحب ومراقبة بخلاف ما إذا لم يترقَّب حصول شيء من ذلك فإنه لا يحصل له تحقق بذلك المقام الذي أتى به الوارد قال تعالى: **(إنما الصدقات للفقراء والمساكين)** (التوبة-٦٠) فهذه المسكنة وقت إخراج الصدقات للفقراء والمساكين لا الأغنياء والمتكبرين فإذا لم يكن عند الذاكر إشتياق وإفتقار وطلب شيء لا يعطاه قال الغزالي ولهذه المسكنة ثلاثة آداب أن يستحضر العبد أن الله مطَّلَع عليه وهو في قبضته وبين يديه وأن يجمع حواسه بحيث لا يتحرَّك منه شعرة واحدة كحال الهرة عند إصطياد الفأرة وأن ينفي الخواطر كُلِّها ويجري معنى الله على قلبه وهذه الآداب لا تتمُّ المراقبة إلا بها (ثانيها) أن يلزم نفسه مراراً من ثلاثة أنفاس إلى سبعة إلى أكثر بحسب قوة عزمه وهذا كالمجمع على وجوبه عند الأشياخ حتى يدور الوارد في جميع عوالمه فَنُورٌ بصيرته وينقطع عنه خواطر النفس والشيطان وتكشف له الحجب (ثالثها) منع شرب الماء عقب الذكر فإنَّ الذكر يورث حرقة وهيجاناً إلى المذكور والذي هو المطلوب الأعظم من الذكر وشرب الماء يطفىء تلك الحرارة فليحرص الذاكر على هذه الثلاثة آداب فإن نتيجة الذكر لا تظهر إلا بها (تنبيه) إذا كان الطالب يذكر مع الجماعة

وأراد أن يدخل مجلس الذكر فينبغي له أن يقضي مصالحه الشاغلة له عن الحضور في الذكر ويلبس أحسن ثيابه والأبيض أفضل ويأخذ الطيب والسواك قبل حضوره ويكون على طهارة كاملة ويصحب شيئاً من العطريات في فمه إذا لم يكن صائماً وإذا دخل محلّ الذكر وكان مسجداً صلى ركعتي التحية فإذا لم يكن الذكر قائماً قبل يد أستاذه وسلم على إخوانه ثم يجلس متأدباً مطرقاً صامتاً أو مشغولاً بالذكر سرّاً وهو أكمل وإن رأى الذكر قائماً قال في سرّه دستور يا أهل الطريق دستور يا أهل القدم ودخل ثم أخذ في الذكر وإذا أرادوا إنفتاح الذكر أوّلاً إستأذنوا بقلوبهم أصحاب الطريق والقدم بعد الإذن من الله ورسوله ويأخذوا في الذكر بسكينة ووقار وخشوع بصوت متوسط على الهويّنا من غير تمطيط و عليهم مراعاة الوفاق في الاصوات علواً و خفضاً وتحسين قراءة الورد أن كان بالوقف والسجعات لأن في ذلك نشاطاً للنفس ولذة للروح وراحة للسر وقهراً للشيطان وفراراً ولا يكثر أحدهم الالتفات ولا يعبث بلحيته ولا يلعب بيده ولا بشيء من ثيابه لأنه مجلس الله عزّ وجلّ فإن لعب وعبث طرد من ذلك المقام النادي ولا ينظر بعضهم بعضاً لأنه مانع من الحضور بل يغمض عينيه ولا بأس بالهزّ يميناً وشمالاً إن كان الذكر بالأم بلا إله إلا الله وإن كان بالجلالة رفع رأسه إلى فوق وضرب به صدره كما يأتي وينبغي أن يكون معه خرقة مثل محرمة يمسحُ فيها ما يعرض له من بصاق ونحوه ولا يخرج من المجلس لذلك إلا إن انحصر ببول أو غائط أو ريح وإذا أراد المقدم عليهم أن يفتح لهم الذكر أو يسكتهم أو يرفع الذكر أو يخفضه لهم قال دستور يا الله بقلبه وعليه أن يحذر من التمطيط والعجلة الشديدة لأنها تخرج الذكر عن حدّه الشرعيّ والإقتصار في المجلس أولى من التطويل إذ المجلس إذا طال كان للشيطان فيه نصيب ما لم يحصل خشوع ولذة فلا يقطع ذلك عليهم فإذا فهم ما بهم من الملل إستأذن بقلبه وختم بهم المجلس فيقول اللّهُمَّ إن ذكرك لا يملُّ منه وإنما عبيدك هؤلاء منهم الضّعيفُ وذو الحاجة وأريد أن أختم بهم فأذن وإذا قرأ القارىء أو قال الحادي شيئاً من كلام القوم أطرق رأسه كلاً منهم وسكنوا أعضاءهم وألقوا كليتهم لسماع ذلك وعرض حاله على ما يسمعه متأولاً ذلك بما يليق به رأي ذلك موافقاً لحاله حمداً لله بقلبه

وإلا أخذ في الإستغفار وطلب التوبة بالقلب ولا ينهنه ولا يتصعب ولا يهتز ولا يتأوه ولا يقول شيء لله ولا عدّ القول ولا نحو ذلك فإنه سوء أدب مع الله ورسوله خصوصاً بحضرة الشيخ وإذا قال الشيخ شيء من ذلك فإنه لمصلحة أرادها فلا يقتدي به في ذلك ولا يقول مثل قوله ولا ينبغي للشيخ أن يقرّ أحد على الصراخ بل يزرهم عن ذلك كله إلا إن تحقّق أنّه عن غلبة قوية وحالة صادقة ويحرصون أن يكون الذكر على وتيرة واحدة وطريقة مستقيمة وليس لأحدهم أن يغيّر الطريقة من حدر إلى ترتيل وعكسه مثلاً بل حتى يرسم الشيخ أو المقدّم عليهم وكذا في الإبتداء والختم.

الباب الثالث في بيان الطريق الموصول إلى الله وأركانها حسب ما قالوه على الوجه الذي ذكروه

في بيان الطرائق الموصلة إلى الله تعالى وأركانها وما يتعلّق بذلك كُله وكيف السلوك إلى ملك الملوك حسب ما قالوه على الوجه الذي ذكروه أعلم أنّ المراد بسلوك الطريق تتبّع أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم والعمل بها والمريد الواصل إلى الله تعالى هو الذي تخلّى عن أوصافه الدميمة وتخلّى بالأوصاف الحميدة فالأوصاف الدميمة كالجَهْل والغضب والحقد والحسد والبخل والتعاطم والتكبر والعجب والغرور والرياء وحُب الجاه والرئاسة وكثرة الكلام والمزاح والترين للناس والتفاخر والضحك والخيلاء والتقاطع والتهاجر وتتبع العورات والأمل والحرص وسوء الخلق وكل ما نهى عنه الشارع والأوصاف الحميدة كالعلم والحلم وصفاء الباطن والكرم والتدلل والرفق والتواضع والصبر والشكر والزهد والتوكل والمحبة والشوق والدوق والحياء والتفكير والشفقة والرحمة للخلق والحُب في الله والبعض لله والتأني في الأمور والبكاء والحزن وحُب الخمول والعزلة وسلامة الصدر والنصح وقلة الكلام والخشوع والخضوع وإنكسار القلب وحسن الخلق والتخلق بما ورد به الشارع من الصفات المحمودّة فإذا إتصف المرید بأوصاف الكمال وخلص من قبيح الفعال فهو التقى قد وصل إلى الملك المتعال من أصحاب الأحوال الذين قطعوا المنازل والأهوال وترقوا مقامات الرجال فهم النطف الطاهرة أصحاب الإستعدادات الكاملات والطباع

السليمة الذين لا رغبة لهم في لذة الدنيا ولا في نعيم الآخرة قلوبهم متوجّهة إلى ملكهم لا يسكنون إلا إلى ذكره و لا يتفوتون إلا بتلاوة اسمه فأول شيء يلزم مريد الطريق معرفة الله عزّ وجلّ بأن يعرف ما يجب في حق مولانا جلّ وعزّ وما يستحيل وما يجوز وكذا يجب عليه أن يعرف مثل ذلك في حق الرسل عليهم الصلاة والسلام ثم باب الطهارة والصلاة والصيام والتيمم وما يحتاج له السير ثم يتعلّم من القرآن ما لا بدّ منه ولا غنى في كل حال عنه مقتصرًا منه على قدر الكفاية ثم يرجع عن الذنوب و يجدد توبة شروطها المعتبرة ويظهر قلبه من نحو الكبر والعجب والحسد وسوء الظن متحقّقًا بما يمكنه من أصول طريقه ومن ذلك إسقاط التدبير وكمال التسليم والرضا عن الله في كل ما يرد عليك من نحو فقر أو سقم أو إيذاء ويقطع العلل التي تُنقص العمل وتبطله والخروج عن الله والعلائق والتحقّق بالسنة قولاً وعملاً ومن ذلك الملازمة على صلاة الضحى وصلاة الأوابين بين المغرب والعشاء وصلاة الليل الوتر والسنن الراتبة ما دام في حال بدايته لا يفتر يوماً واحداً إلا لضرورة ولا يأكل في اليوم والليلة أكثر من مرة ولا يمكث ساعة من ليل أو نهار على حدث البتة وإذا مشى في الطريق لا يتعدّى بصره محل القدمين ويزيل ما في الطريق من الأذى ويبدأ بالسلام ولا يهجر من جفاه ولا يطعن في أعراض الناس رثيث الثوب ذو جيب ويعين ذا الحاجات ولا يدخل الحمام إلا لضرورة لازمة ولا يدخل مداخل النهم وعليه بصيانة عرضه ولا يصلي الفرض إلا بجماعة في أول الوقت بأذان وإقامة ولا ينام الثلث الأخير من الليل لأنه دأب الصالحين ولا ينام ليلة الجمعة مطلقاً بل يحييها بقراءة الكهف والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ويتحمّل الأذى من الناس كما تحمّلت الأولياء والأنبياء من قبله ولا يؤذي هو أحداً ولا يدعو على أحد بل يفوض أمره إلى الله كأن ما أحداً آذاه ولا يضع عمامته تحت رأسه ولا يفرش ما يوضع على الكتف تحته ولا يبول في غير المعد لقضاء الحاجة حيث وجد غيره وما يعد للعبادة ينزّه عن أحوال العادة ولا يرمي سبحة بالأرض بل يُعلّقها في عنقه أو على وتد وإن كان له كسب حلال لزمه القيام به لنفسه وعياله ولا يعمل فوق كفايته ولا يقصد التصدّق بما زاد عنه بل سلامة الدّين

مقدّمة على ذلك ويتورّع عن كلّ ما فيه شبهة وإذا كثرت منه العبادة وإشتهر أمره بالصلاح وكثر الناس عليه بالزيارة والتبرُّك به قبل كماله وبلوغه الطريق لزمه الفرار منهم ويعمل على الخمول ويحرص أن لا يعرف حاله غير ربّه ولا يجيب دعوة أحد إلا أن تكون واجبة ولا يزور أحداً ولا يأكل من وليمة مطلقاً وإذا أكل ما فيه شبهة استقاهه ويلزم أن لا يرى إلا في المسجد أو عيادة مريض أو جنازة أو ما كان فيه نفع له وللمسلمين وعليه أن يقدّم مصالح الناس على مصالح نفسه المندوبة ويجعل أصله الذي بُني عليه عمله دوام الشهود وتوحيد الأفعال بأن المحرّك والمسكن هو الله والتحقق بالذل والعجز والإنكسار وملازمة الخشوع والخضوع والدموع وصدق الولوع بشدة الطلب وإيثار المجاهدة ويزال كذلك والله يؤيده ويهديه ويوفقه إلى ما يرضيه ثم أعلم أيها الطالب للإشراف على منازل الأشراف والإطّلاع على حقيقة نفسه والتطهير من وابل مدد فيض قدسه أن القوم بنوا الطريق على أربعة أركان الجوع والسهر والصمت والعزلة فلا وصول إلى الله بدونها وقد نظمت في قول بعضهم:

إنّ الطريق لها أركان واجبة

فلا وصول بغير الركن للرجل

فهاكها أربعاً قالت مشايخنا

جوع وسهر وصمت عزلة فقل

وزاد بعضهم على ذلك أربعاً أيضاً دوام الذكر ودوام الفكر ودوام الطهر وربط قلب المرید بالأستاذ وهذا من أكد الأركان والشروط عند القوم ونظمها شيخ شيخنا السيد البكري فقال:

شروط طريقنا المرضي عدت

ثمانية فلازم من حواها

ولازم وردها وانهض بعزم

لترقى في مراق من عناها

وتصبح واحداً في الناس فردا

جليلاً من سنا باهي سناها

فقل صمت وجوع ثم سهر

بليل الوصل كي يجني جناها

دوام طهارة ودوام ذكر

ونفي خواطر فارقي ذراها

وربط مرید ذي قلب وجد

بقلب الشيخ فاحذر ما تناهى

الركن الاول:

(الجوع) وهو أعظمها لأن غيره ينشأ عنه على حدّ *قوله صلى الله عليه وسلم: الحج عرفه* (سنن الترمذي ٨٨٩/٣ عن عبد الرحمن بن يعمر) والجوع أساس كل خير *قال صلى الله عليه و سلم: إنّ الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع والعطش* (البخاري ٦٧٥٠/٤) فإن الأجر في ذلك كأجر المجاهد في سبيل الله *وقال صلى الله عليه و سلم: سيد الأعمال الجوع وذل النفس لباس الصوف* (إحياء علوم الدين ٨٠/٣) *وعن المقداد بن معد يكرب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه بحسب ابن آدم أكيات يقمن صلبه فإن كان ولا بدّ فتلت للطعام وتلت للشراب وتلت لنفسه* (سنن الترمذي ٢٣٨١/٧ عن المقداد بن معدي كرب) وقال القشيري لا شيء أضرّ على الآخرة من الأكل ولا أنفع لها من الجوع ولا شيء أفضل من مخالفة الهوى في ترك الحلال وأنّ الله يبغض من الحلال شيين الطلاق والشبع وعن بعضهم من جاعت نفسه إنقطع عنه الوسواس وعن بشير الحارث قال الجوع والعطش يورثان صفاء القلب ويميتان الهوى ويثمران العلم الدقيق وقال سليمان الداراني مفتاح الدنيا الشبع ومفتاح الآخرة الجوع وقال بعضهم لئن تركت لقمة من عشائي وأنا محتاج إليها خير من قيام ليلة إلى الصباح وقال بعضهم كل الخير مجموع في خزائن الجوع وقال لقمان لإبنيه يا بنيّ إذا امتلأت المعدة نامت الفكرة وخرس لسان الحكمة وقعدت الأعضاء عن القيادة وقال إبراهيم بن ادهم خدمت ثلثمائة ولي وكلّ منهم يوصيني بأربعة أشياء (أحدها) من أكثر من الأكل لم يجد لطاعة الله لذة (ثانيها) من أكثر النوم لم يجد في عمره بركة (ثالثها) من أكثر من مخالطة الناس لم تقم له عند الله حجة (رابعها) من أكثر من الوقوع في أعراض الناس لم يخرج من الدنيا على التوحيد وقال يحيى بن معاذ في نفس ابن آدم الف غصن من الشرّ كلها في يد

الشیطان فإذا جوع بطنه وأخذ حذره وروّض نفسه بیس كل غصن واحترق بنار الجوع وفر الشیطان منه وقال رجل لابن بشیر علمني العبادة فقال ألت تآكل قال نعم قال كيف تآكل؟ آكل حتى أشبع وأكتفي قال هذا آكل البهائم معدومات العقول إذهب عني وتعلم الأكل ثم تعلم العبادة. للشیخ أن يعامل الكاملین معاملة السالکین بالجوع وإن لم یکن یلازم للمحققین فهو مورثهم أسراراً علیة وأماً السالکون فهو علیهم كالأمر الفرضیة قال بعضهم لو وجد المرید الجوع فی السوق لوجب علیه أن لا یشتری غیره سئل بعضهم هل تجد الطبّ فی کتاب الله تعالی قال نعم قد جمع الله الطبّ کله فی آیه واحدة بقوله (کلوا وإشربوا ولا تسرفوا إنه لا یجبُ المُسرفین)(الاعراف-٣١) یعنی أنّ الإسراف فی الأكل یتولّد منه الأمراض والأوجاع ویقال فی كثرة الأكل ستة خصال (الأولی) یذهب خوف الله من القلب (الثانیة) یذهب رحمة المخلوقین منه (الثالثة) یثقل الطاعة علی البدن (الرابعة) إذا سمع كلام الحکمة لا یرق قلبه ولا یؤثر فی خوف الله (الخامسة) إذا تكلم بالوعظ لا یقع فی قلوب الناس (السادسة) یهیج الأمراض وقال بعضهم فوائد الجوع ثلاثة عشر فائدة صفاء القلب ورقته والاستلذاذ بذكر الله وعبادته وإنكسار الشهوة وذكر جوع جهنّم وتیسیر المواظبة علی العبادة ودفع النوم والشیطان والفراغ من قضاء الحماية الإنسانیة ودفع الأمراض الشاغلة عن الطاعة وخفة المؤونة والإکتفاء بالقلیل وإمكان الایثار بالفاضل وإيقاع الوعظ فی قلب السامع وأوصلها بعضهم الی خمسين فائدة والمطلوب من ذلك الحالة الوسطی بین الإفراط والتفریط ولذلك قالوا بتقلیل الطعام ولم یقولوا بترك الطعام فیکون قدر ثلث البطن فأقل *وقال صلی الله علیه و سلم: ثلث للطعام فمن زاد فإنما یأكل من حسناته* (إحیاء علوم الدین ٨٢/٣) فالنافع فی الطریق أن لا یأكل المرید حتى یجوع وإذا آكل لم یشبع وإذا كان فی وقت الغداء شبعاناً فلا یتعشى وإذا مشى لم یتغذّ وقد رأى النبی صلی الله علیه وسلم عائشة وهي تآكل مرتین فی الیوم فقال لها أنت عائشة لم تجدی لك شغلاً غیر بطنك یا عائشة الأكل مرتین فی الیوم اسراف والله لا یحب المسرفین فخرجت عما كانت علیه فالمطلوب عند القوم تقلیل الطعام وترك ألوان الطعام فلا یجمع بین ادمین أبداً وقد تعسر الحالة

الوسطى على المبتدئ فلا تطاوعه نفسه أن يفعل ما ذكرناه لألفة ما هي عليه من الحظوظ والخبث فحينئذ على المرید ظلمها والتعدّي عليها بأكل حقّها المنذب لها حتى ترضى بالذي ذكرناه وذلك بأن يقلل الأكل بالكلية ويحملها ما تطيق من الأعمال الشاقة وإن كان هذا خارجاً عن الإنصاف إلاّ أنّه يفعل ذلك لأجل إصلاحها ورجوعها للحق طوعاً أو كرهاً وللأكل الشرعي قال ابن الفارض مشيراً إلى هذا المقام:

ونفسي كانت قبل لوامة متى أطعها عصت أو أعص كانت مطيعتي

فأوردتها ما الموت أيسر بعضه وأتعبتها كيما تكون مريحتي

فعادت ومهما حملته تحملته مني وإن خففت عنها تأدّت

وقد حقّق شروط الجوع سيدي محي الدين بن العربي فقال الجوع جوعان جوع إختياري وهو جوع السالكين وجوع إضطراري وهو جوع المحققين فإنّ المحقق لا يجوع نفسه بل يقلّ أكله إن كان في مقام الإنس وإن كان في مقام الهيبة كثر أكله وكثرة الأكل للمحققين دليل على صحة سطوات أنوار الحقيقة على قلوبهم بحال العظمة من مشهودهم وكثرة الأكل للسالكين المبتدئين دليل على بعدهم من الله وطردهم عن بابه وإستيلاء النفس الشهوانية البهيمية بسطانها عليهم وقلة الأكل لهم دليل على النفحات الإلهية والجوع بكل حال ووجه سبب داع للسالك والمحقق إلى نيل عظيم الأحوال من السالكين والأسرار للمحققين ما لم يفرط فإن أفرط أدّى إلى الهوس وذهاب العقل وفساد المزاج اللهم إكفني شر الجوع ودواعيه المهلكات للدين والدنيا يا ربّ العالمين وإعلم أن لا سبيل للسالك إلاّ الجوع المطلوب لنيل الأحوال إلاّ عن أمر شيخ يرضيه وأمّا وحده فلا سبيل إلى ذكره ثم قال وللجوع حال ومقام عظيم فحاله الخشوع والخضوع والمسكنة والدّل والإنكسار وعدم الفضول وسكون الجوارح وعدم الخواطر الرديئة والوسواس وهذا حال جوع السالكين وأمّا حال جوع المحققين فالرأفة والصفاء والموانسة والتنزّه عن الأوصاف البشريّة بالعزّة

الإلهية الصمدانية فهذا فائدة جوع صاحب الهمة لا جوع العامة فإن جوع العامة إذا جاعوا يكون لصلاح المزاج وتنعم البدن بالصحة لا غير فتدبر كلام الأستاذ في هذا المقام تبلغ المرام وينبغي أن يكون الجوع المذكور صوماً بالوجه الشرعي لأن الصوم منير للعبادات ومفتاح الطاعات والقربات قال حجة الإسلام في بداية الهداية لا ينبغي للشخص أن يقتصر على صوم رمضان فيترك التجارة بالنوافل فيحرم الدرجات العالية في الترقى ويحرم درجات الفردوس فيتحسّر إذا نظر مقام الصائمين وهم كالكواكب في أعلى عليين وليكثر منه ما استطاع *قال صلى الله عليه وسلم: يقول الله تعالى كلُّ حسنة بعشرة أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به* (مسند الإمام أحمد ٢/٢٣٤) وقال ابن الجوزي في روض الصائمين وروح القائمين *عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم: الصيام والقرآن يشفعان في العبد يوم القيامة يقول الصيام يا ربّ منعتك الطعام والشهوة فشفعني فيه ويقول القرآن منعتك النوم بالليل فيشفعني فيه فيشفعان* (مسند الإمام أحمد ٢/١٧٤ عن عبد الله بن عمرو) *وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال صلى الله عليه وسلم: إغزوا تغنموا وصوموا تصحّوا وسافروا تستغنوا* (الطبراني في الأوسط ٨/٩/٨٣٠٨) *وقال صلى الله عليه وسلم: لكلّ شيء زكاة وزكاة الجسد الصوم والصيام نصف الصبر* (سنن ابن ماجه ١/١٧٤٥، عن أبي هريرة) *وعن أبي أمامة الباهلي قال قلت يا رسول الله مرني بعمل قال عليك بالصوم فإنه لا عدل له* (سنن النسائي المجتبى ٤/١٦٥) *وفي رواية النسائي قال قلت يا رسول الله مرني بشيء ينفعني الله به قال عليك بالصيام فإنه لا مثيل له* وفي رواية *دأني على عمل أدخل به الجنة قال عليك بالصيام فإنه لا مثيل له* (سنن النسائي مجتبى ٤/١٦٥) فكان أبو أمامة لا يرى في بيته الدخان نهراً إلا إن نزل به ضيف *وقال صلى الله عليه وسلم: إن في الجنة باباً يقال له الريان يدخل منه الصائمون يوم القيام لا يدخل منه أحد غيرهم* (البخاري ١/١٧٩٧ عن سهل بن سعد) *وقال صلى الله عليه وسلم: إن للصائم عند فطره دعوة ما ترد* (سنن ابن ماجه ١/١٧٥٣) *وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث أبا موسى على سرية في

البحر فبينما هم كذلك وقد رفعوا الشراع إذ هتف بهم هاتف يا أهل السفينة قفوا حتى أخبركم بقضاء الله قضي الله على نفسه أنه من عطش نفسه لله في يوم حار كان حقاً على الله أن يرويه يوم القيامة* (ابن أبي الدنيا والبيزار عن ابن عباس) فكان أبو موسى يستوخي اليوم الشديد الحرّ الذي يكاد ينسلخ جمرأً فيصومه* وعن حذيفة رضي الله عنه أسندت النبي صلى الله عليه وسلم إلى صدري في مرضه فقال لي من قال لا إله إلا الله وختم له بها دخل الجنة* (مسند الإمام أحمد ٣٩١/٥) وفي رواية يا حذيفة من ختم له بصيام يوم يريد به وجه الله أدخله الله الجنة* (الترغيب والترهيب ٨٥/٢) وقال صلى الله عليه وسلم: ثلاثة لا ترد دعوتهم: الصائم حتى يفطر والإمام العادل ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام ويفتح لها أبواب السماء ويقول الرب: وعزتي لأنصرنك ولو بعد حين* (الدر المنثور أخرجه احمد و الترمذي) *وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم من صام يوماً في سبيل الله زحزح الله عن وجهه النار سبعين خريفاً* (البيزار ، فيض القدير ٣/٣٤٥٢) والمراد بسبيل الله ابتغاء وجه الله وقيل الجهاد لله* وفي رواية من صام يوماً في سبيل الله في غير رمضان بعد من النار مائة عام مسيرة الجواد المضمّر* (الطبراني في الكبير ٧٩٠٢/٨) وصوم الدهر سنة لمن يطيقه ولم يترك بسببه حقاً عليه وإلا صام وأفطر لما* روي عن عبد الله بن عمرو قال كنت أصوم الدهر وأقرأ القرآن كلّ ليلة فأرسل إلي النبي صلى الله عليه وسلم فقال لي ألم أخبر أنك تصوم الدهر وتقرأ القرآن كل ليلة فقلت بلى يا رسول الله ولم أرد بذلك الا الخير قال أن بحسبك أن تصوم من كل شهر ثلاثة أيام فقلت يا رسول الله إنني أطيق أفضل من ذلك فقال إن لزوجتك عليك حقاً ولجسدك عليك حقاً فأعط كل ذي حق حقه فصم وأفطر وإنك أهلك ثم قال فصم صوم داود نبي الله فإنه كان أعبد الناس قال فقلت وما صوم داود يا نبيّ الله قال كان يصوم يوماً ويفطر يوماً وإقرأ القرآن في كل شهر قلت يا رسول الله أني أطيق أفضل من ذلك قال إقرأه في كل عشرين قال إنني أطيق أفضل من ذلك قال فإقرأه في كل عشر قال يا نبيّ الله أطيق أفضل من ذلك قال فإقرأه في كل سبع ولا تزُدْ على ذلك فإنّ لزوجك عليك حقاً ولربك عليك حقاً ولجسدك

عليك حقاً* (مسلم ١١٥٩) وقيل الصائم نومه عبادة ونفسه تسبيح ودعاءه مستجاب وعمله مضاعف وقال بعض السلف الصلاة توصل صاحبها إلى نصف الطريق والصدقة تأخذ بيده فتدخله إلى الملك والصيام يبلغه إلى أعلى الدرجات وقال بعضهم يقال للصائمين يوم القيامة كلوا فقد جعتم حين شبع الناس وإشربوا فقد عطشتم حين روي الناس وإستريحوا فقد تعبتم حين إستراح الناس فيأكلون ويشربون والناس في هول الموقف وروى بعضهم في تفسير قوله تعالى: **(كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية)**(الحاqqة-٢٦) أنّها أيام الصوم. قال الشبلي رضى الله عنه كنت في قافلة فطلع عليها عرب فأخذوا القافلة فمررت عليهم وهم يأكلون من متاعها ورأيت كبيرهم والمقدّم عليهم لا يأكل وإمتنع عن ذلك فسألته عن ذلك فقال إنّي صائم فقلت له لم تقطع الطريق وتصوم قال إنّي تركت للصلح موضعاً بيني وبين ربي ثم بعد مدّة رأيت في المطاف وهو طائف فوق رؤوس الناس فقلت هو قال نعم إنظر يا شبلي كيف الصيام أصلح بيني وبينه ثم أنشد فقال:

أفاح الزاهدون والعاقدون	إذ لمولاهم أجاجوا البطونا
أسهروا الأعين القريحة فيه	فمضى ليلهم وهم ساهرونا
حيرتهم محبة الله حتى	حسب الناس أنّ فيهم جنونا
لم يرتدوا عن بابه من براح	قد شجاهم بعشقه يعرفونا

وينبغي أن يكفّ لسانه في الصوم عن الحرام كالغيبية والنميمة والأيمان الكاذبة والطعن في أعراض الناس وبالجملة كل ما تركه الناس فإتركه وصون النظر عن المحرّمات فقد ورد في الخبر خمس يفطرن الصائم الكذب والغيبية والنميمة والأيمان الكاذبة والنظر إلى المحرّمات بشهوة* (مسند الفردوس للدليمي ٢/٢٩٧٩) والمراد به إبطال الثواب والشتم والسب كذلك قال صلى الله عليه و سلم: **إنّما الصوم جنّة فإذا كان أحدكم صائم فلا يرفث ولا يجهل فإنّ امرءً قاتله أو شاتمه فليقل إنّي امرءٌ صائم*** (صحيح البخاري ١/١٧٩٥) ولا تظن أنّ

الصوم ترك الطعام والشراب والوقاع بل تمام كفّ الجوارح كلها عمّا يكره الله *فقد قال صلى الله عليه و سلم: كم من صائم ليس له من صيامه الا الجوع والعطش* (مسند الإمام أحمد ٤٤١/٢) ثم اجتهد أن تفطر على طعام حلال ولا تستكثر فتزيد على ما تأكله في نهارك عند فطرك كل ليلة لأجل صيامك فلا فرق أن تستوفي ما تأكله دفعة واحدة أو دفعتين وإنما المراد كسر شهوتك لتقوى على العبادة فإن أكلت عند فطرك ما تعتاده في عدم صومك فلا فائدة في صيامك وتثقل عليك أعضاؤك وتفتر عن العبادة وما من وعاء أبغض الى الله تعالى من بطن ملئت من حلال قال شيخنا البكري ولا بدّ لك أيها السالك مع ذلك من الرياضة وهي التخلّق بالأخلاق المحمّديّة والصفات القرآنيّة والإنسلاخ من الأوصاف الذميمة النفسانيّة الشيطانيّة وأمّا إذا كان مجرد جوع أو ظمأ فليس لله حاجة أن يدع طعامه وشرابه والرياضة خلق من الأخلاق الصمدانية فلذا قال في الصوم الصوم لي ولأن بالجوع يملك المرید نفسه بعد أن كانت مالكة له فأبها ما إهتدت ورجعت الى الله الا بعد أن القيت بحر الجوع مراراً فإذا جوّعها الطالب تذكرت العهد السابق فترجع منقاداً بعد الإبابة ذليلة بعد العزة والغواية فلذلك كان الجوع والظمأ من أعظم المجاهدة للنفس لكن ينبغي أن يكون ذلك بالتدرّج شيئاً فشيئاً وكذا تركه للماء حتى أنّ بعضهم يزن غذاءه كل ليلة عند الفطر وينقص منه درهماً أو أكثر إلى أن يصل غذاءه في اليوم والليلة إلى تمرّة أو زبيبيّة أو لوزة وتكتفي بها المعدة الإنسانيّة وتنقضي حاجتها بذلك ولا يتضرّر الجسد من ذلك وبعضهم يزن غذاءه بخشبة جميز خضراء وينقص كل يوم بقدر ما ينشف منها فإذا نشفت أخذ ثقلها خضرة وفعل ما تقدّم وهكذا حتى يتمرنّ على ما تقدّم وكذا الماء حتى يصير يمكث الأيام الكثيرة لا يشرب وقال بعضهم إذا أردت أن تعرف هل نفسك تقدر الزهد في الدنيا وإلا فلا فإزهد في الماء فإن قدرت على ذلك قدرت على الزهد في الدنيا قال بعضهم في ذلك المعنى أبياتاً للناقد البصير:

تركت فضول النفس حين رددتها إلى دون ما يرضى به المتعقّف

وأملت أن أجري خفيفاً الى العلا فإن رمتم أن تلحقوني فخففوا

لأستبدلنَّ النفس حتى أصونها وتتناقذ للطاعات حقا وتعرف

قال بعضهم إعلموا أننا جربنا العطش فوجدناه من الشهوة الكاذبة وجربته غيرنا فوجده كذلك وإذا دفع الشخص نفسه في شرب الماء تركته وإكتفت وقنعت الطبيعة الانسانية بما تستمدُّ من الرطوبات التي في الغذاء ولا تلتفت إليه ولا تشتتته وعلامة صحة الرياضة أن يحدث الله للعبد في إحدى أسنانه أو لهاته عينا من ماء تجري من فيه إلى أن يروي وهذا كله تابع لصدق المرید في طلبه وعشقه وهمته في بلوغ إربه والله ولي الهداية والتوفيق.

الركن الثاني:

(السَّهْر) وهو قسمان سهر القلب وهو يقظته من نوم الغفلة والقرب من منازل المشاهدة وسهر العين لتعمر الوقت ولدوام الترقى في المنازل العلية لأن بنوم العين يبطل عمل القلب ففائدة السهر عمل القلب وهو ينشأ من فراغ المعدة من فضولات الطعام والشراب وهو يورث معرفة النفس وينبغي أن يكون ذلك بالتهجد وهو لغة رفع النوم بالتكليف وشرعاً صلاة نفل بليل بعد نوم وقد ورد الحث في الكتاب والسنة على قيام الليل في الإسحار والوقوف في تلك الأوقات بين يديّ الملك الجبار فمن ذلك قوله تعالى: (ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً) (الاسراء-٧٩) وقال تعالى: (قم الليل إلا قليلاً) (المزمل-٢) وقال تعالى: (تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً) (السجدة-٣٢) *وقال صلى الله عليه و سلم: عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم وقربة إلى الله تعالى ومنهاة عن الإثم وتكفير للسيئات ومطرده للذاء عن الجسد* (سنن الترمذي ٣٥٤٤/٩) *وقال صلى الله عليه و سلم: ركعتان في جوف الليل يركعهما ابن آدم خير له من الدنيا وما فيها ولولا أن أشفق على أمّتي لفرضتها عليهم* (أخرجه ابن أبي الدنيا في

التهجد وقيام الليل رقم ١٥٦/١) *وقال صلى الله عليه و سلم: أتاني جبريل فقال لي يا محمد عش ما شئت فإنك ميت وأحبب ما شئت فإنك مفارقة وإعمل ما شئت فإنك مجزى به وإعلم أن شرف المؤمن قيامه بالليل وعزه إستغناؤه عن الناس* (الحاكم) *وقال صلى الله عليه و سلم: فضل صلاة الليل على صلاة النهار كفضل صدقة السر على صدقة العلانية* (مسند الفردوس للديلمي ٤٣٤٩/٣ عن ابن مسعود) *وقال صلى الله عليه و سلم: من بات في خفة من الطعام والشراب يصلي تداركت حوالبه الحور العين حتى يصبح* (الطبراني في الكبير ١١٨٩١/١١) *وقال صلى الله عليه و سلم: من صلى بالليل حسن وجهه بالنهار* (سنن ابن ماجه ١٣٣٣/١) وقيل للحسن البصري ما بال المتهجدين من أحسن الناس وجهاً قال لأنهم خلوا بالله وناجوه والناس نيام فألبسهم نوراً من نوره وروي أن في الجنة غرفاً يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها أعدّها الله لمن ألان الكلام وأطعم الطعام وتابع الصيام وصلى بالليل والناس نيام وقد إجتهد السلف الصالح في قيام الليل فكان عثمان بن عفان وغيره يصوم النهار ويقوم الليل إلا ضجعة أوّلُهُ وكان يقرأ القرآن في ركعة وكان عبد الله بن عمرو بن العاص كذلك فجاء أبوه لزوجته فقال لها كيف وجدتي بعلك فقالت خير الرجال لم يمسّ لنا كساءً ولم يعرف لنا فراشاً وكان صفوان بن سليم عاهد الله أن لا يضع جنبه الأرض فلما نزل به الموت قيل له يرحمك الله ألا تضع جنبك على الأرض ترتاح فقال لا أنقض عهد الله فأستند إلى الحائط ولا زال كذلك حتى خرجت روحه وروي أن الله تعالى يباهي بقوام الليل الملائكة يقول إنظروا إلى عبادي قد قاموا في جنح الظلام حتى لا يراهم غيري أشهدكم يا ملائكتي أنني قد أبحثهم دار كرامتي وقال بعضهم إذا جنّ الليلُ بظلامه يقول الله لجبريل يا جبريل حرّك أشجار المعاملة فإذا حرّكها قامت القلوب على باب المحبوب وأنشد بعضهم:

فيسفر عنهم وهم ركوع

إذا ما الليل أظلم كابدوه

وأهل الأمن في الدنيا هجوع

أطار الخوف نومهم فقاموا

وقيل أوحى الله الى بعض الصديقين أنّ لي عبداً يحبوني وأحبهم ويشتاقون إليّ وأشتاق إليهم ويذكرونني وأذكرهم فقال يا ربّ ما علامتهم قال يراعون الظلام بالنهار كما يراعي الراعي غنمه ويحنون إلى غروب الشمس كما تحنّ الطير إلى أوكارها فإذا هجم الليل وأقبل الظلام وخلا كلّ حبيب بحبيبه صوّوا إليّ أقدامهم وإفترشوا إليّ وجوههم وناجوني بذكري وكلامي وتملقوا إليّ بأنعامي فمنهم صارخ وبك ومتأوه وشاكي ومنهم قائم وراكع وساجد فأول ما أعطاهم ثلاث خصال (الأولى) أن أقذف في قلوبهم نوراً من نوري (الثانية) لو كانت السموات والأرض في موازينهم لإستقلنتها لهم (الثالثة) أقبل بوجهي الكريم عليهم أفندي من أقبلت بوجهي الكريم عليه أن أعطيه ما أمل وأنشد بعضهم في ذلك المعنى فقال:

طوبى لمن سهرت بالليل عيناه وبات في قلق حب مولاه

وقام يرعى نجوم الليل منفرداً شوقاً إليه وعين الله ترعاه

قال مالك بن دينار كان لي ورد أقرأه كل ليلة فمنتّ عنه ولم أقرأه فبينما أنا في المنام وإذ بجارية أجمل ما يكون وجهها يتلألاً نوراً وفي يدها رقعة مكتوبة فقالت أحسن أن تقرأ قلت نعم فدفعت لي الرقعة فإذا فيها شعر:

ألهمتك اللذائذ والأمانى عن الحور الحسان في الجنان

تعيش منعماً لا موت فيها وتلهو في الجنان مع الحسان

تنبه من منامك إنّ خيراً من النّوم التهجّد بالقرآن

وقال معروف الكرخي شيخنا قمت ليلة فصليت ما شاء الله ثم نمت فرأيت جارية وجهها كالبدر ليلة تمامه فقالت لي تنام ومثلي يربى لك في الجنة ثم تبسّمت في وجهي فأضاء البيت من نور وجهها فقلت لها بم نلت هذا الجمال فقالت تذكر الليلة الفلانية التي قمت فيها

وتوضأت وصلّيت وبكيت من خشية الله تعالى في محرابك فحملت الي قطرة من دموعك
فمسحت بها وجهي فصير الله نور وجهي لك كما ترى وأنشد قائلاً للفيظ اللبيب:

يا عاشقاً للغواني الحور ما تدور دار الغرور بعيش شيب بالكدر
إنّ الغواني الحسان الحور مسكنها دار السرور على فرش على سرر
يشاهد المخ في الساقين ناظرها من فوق سبعين حلة من الحرير
قد همّن شوقاً الى أزواجهنّ كما يشتاقي الغائب المحبوب في السفر

وعن الشيخ أبي الحسن رضي الله عنه قال كان بجواري شاب يصوم النهار ويقوم الليل
فجاءني يوماً وقال يا أستاذ قد نمت الليلة عن وردي فرأيت كأن محرابي إنشقّ وخرج من
المحراب جوار كأنهنّ الأقمار لم ير الرائي أحسن منهنّ منظرأ فقال قلت لمن أننّ فقلنّ
نحن ثواب لياليك التي مضت للإجتهاد والعبادة ثم رأيت فيهنّ جارية لم ير الرأون أقبح
منها وجهاً فقلت لمن هذه فقيل هذه ثواب ليلتك التي نمت فيها ولو مت في ليلتك هذه لكانت
تلك الجارية حظك ثم إنّ الجارية القبيحة أنشدت وجعلت تقول شعراً:

أطلب من الله وأرددني إلى حالي فأنت قبحتي من بين أشكالي
لا ترقد الليل ما في النوم فائدة فإن تتم فلا تعطى سوى أمثالي
نحن السرور لمن نال السرور بنا جوف الظلام لكن المنزل العالي
وقد حفت بلطف أن وعظت بنا فأبشر فأنت من المولى على بالي

فأجابتها جارية من الحسان تقول شعراً:

أبشر بخير فقد نلت المنى أبداً في جنّة الخلد في روضات جنّات
نحن الليالي اللواتي كنت تسهرها جنح الظلام بلوعات وزفرات

أبشر فقد نلت ما ترجوه من ملكٍ بر جواد بإفضال وفرحات

غداً تراه تجلّى لك غير محتجب تدنو إليه وتحظى بالتحيات

وعن مالك بن دينار رضى الله عنه قال نمت ليلة عن وردي فإذا أنا بثلاثة جوار كأنهنّ الأعمار فقلت لمن أنتن فقلن لي لمن لم يبرد الأباريق ولم يشتغل بالشهوات النفسانية ووقته مع الله بالتحقيق فقلت إن كنتنّ صادقات فأكسرن الأباريق فاستيقظت فوجدت إبريقي مكسور سائلاً ماؤه وأنشد شعراً:

يا كثير الرقاد والغفلات كثرة النوم توجب الحسرات

إنّ في القبر لو نزلت إليه من رقاد يطول بعد الممات

ونعيم بجنة كذاك عقاب بذنوب عملت أو حسنات

أمنت الهجوم من ملك الموت فكم قد بدا لك من البيئات

وقال سعيد رضى الله عنه أيما رجل قام في الليل وصلى ركعتين إلا تبسّم الجبار في وجهه وقال أشهدكم يا ملائكتي أنّي قد غفرت له وورد أنّ الله يُباهي ملائكته بالعبد إذا قام في الليل البارد يتهدج يقول الله يا ملائكتي إنظروا إلى عبدي خرج من تحت لحافه ترك زوجته الحسنة يناجيني بذكري وكلامي أشهدكم أنّي غفرت له وكان بعضهم أحب التهجد إليه في الشتاء على السطح وذلك دأب السطوحية صيفاً وشتاء ورأى بعضهم حورية كأنها القمر ليلة تمامه فقال لها لمن أنت فقالت لمن يقوم الليل في الشتاء يتضرّع بين يدي الله وكان السلف الصالح يعرفون وجه من نام بلا تهجد ويقولون توبيخاً ما رأيناك هذه الليلة في الحضرة الإلهية وقد حضر فلان وفلان وفرقت عليهم التحف وكانوا يعيرون على بعضهم بالنوم على الفراش اللين وقيل لبشر الحافي ألا تستريح هجعة فقال إنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقوم الليل حتى تنفخت قدماه مع أنّ الله أخبره أنّه غفر له ما تقدّم من ذنبه

وما تأخَّر فكيف ينام الذي لا يعلم ماذا يصنع به ولا يدري ما يفعل به وكان الحسن البصري يقول ما ترك شخص قيام الليل إلا بسبب ذنب أذنبه حتى حُرِّمَ من العطايا والتشريف بالوقوف بين يديه ففتقدوا أنفسهم كلَّ ليلة عند الغروب والإستغفار والتوبة لعلَّ أن تقوموا بالليل بين يدي الله تعالى وكان يقول إنَّما ثقل قيام الليل عليك من كثرة الخطايا والذنوب وقال رجل لإبراهيم بن أدهم إنِّي لا أقدر على قيام الليل صف لي دواء لذلك فقال لا تعصه بالنهار وهو يوقظك للقيام بين يديه بالليل فإنَّ القيام بين يديه من أعظم الشرف والعاصي لا يستحقُّ ذلك الشرف وكانت رابعة العدوية تقوم بالليل وتتهجَّد عند السحر فإذا إنتهت قالت يا نفسي كم تنامي يوشك أن تنامي إلى يوم القيامة وأنشد في المعنى فقال:

وأنت في لهو وزاد قليل

يا أيها الغافل أتى الرحيل

لذبت من فرط البكاء والعويل

لو كنت تدري ما تقاسي غداً

فما بقى في العمر إلا القليل

فأخلص النية وقم في الدجا

فإن قدامك يوم طويل

ولا تتم إن كنت ذا غبطة

وكان ثابت البناني يقول عليكم بقلة الأكل والشرب تملكوا قيام الليل فإن مكابدة قيام الليل أهون عليكم من مكابده أهوال يوم القيامة وعن ابن عباس رضى الله عنهما يا معاشر المسلمين من خاف من ظلمات القبر فعليه بصيام يوم شديد الحرِّ ومن خاف سوء الحساب فعليه بإطعام الطعام ومن خاف من هول منكر ونكير فعليه بقيام الليل وقد جعل الله الهيبة في قيام الليل وكان الجنيد رضى الله عنه يقول: لولا قيام الليل ما أحببت البقاء في الدنيا كذا قاله الصالحون وقال إبراهيم بن أدهم دخلت على بعض إخواني أعيده فتنفس الصعداء وتأسَّفَ كثيراً فقلت له ما هذا التأسُّف فقال والله ثم والله ما أتأسف على البقاء في الدنيا ولكن على فوتاني قيام الليل وصوم الهواجر وأصير في التراب والمسلمون يتهجَّدون وروي أنَّ الملائكة ترى بيت المُتهجِّد في الأرض كما ترى النَّاس ضوء الكواكب في السماء ويقولون

هذا بيت فلان وهذا بيت فلان المتهجّد وعن بعضهم أنّ المتهجّد يشفع في أهل بيته وروي أنّ من صلى بالليل يدخل في عرصات القيامة ووجهه يتلألأ نوراً في عرصاتها كالسراج في ظلمة الليل وكان بعضهم يفرش الفراش اللّين ويضع يده عليه ويقول لنفسه والله إنك لين ولكن فراش الجنّة ألين منك وينصب قدميه إلى الصباح وأنشد شعراً في المعنى فقال:

للهِ درُ السّادة العبادي	في كلّ برّ مقفر ووادي
هجرُوا المراقِد في الظلام لربهم	واستبدلُوا سهراً بغير رقادي
كتمُوا الضنا حفظاً لهم وتحملُوا	ففاتحت عليه حرقة الأكباد
ألوانهم تنبيك عن أحوالهم	ودموعهم منهلة كفوادي
لا يفترون إذا الدجا وافاهم	من كثرة الأذكار والأورادي
نظروا الى الدنيا تغرُّ بأهلها	بوصالها وتغرُّ بالأبعادي
فُتَنَرَّهوا عنها وجدوا في اللقاء	وتزوّدوا من صالح الأزوادي
وامشوا على سنن النبيّ محمد	خير الأنام الهاشمي الهادي

(تنبيه) إختلفوا في فضل أجزاء الليل والذي دلّت عليه الأحاديث الصحيحة وما ذهب إليه إمامنا الشافعي رضي الله تعالى عنه أن قسمه أنصافاً فالأخير أفضل أو ثلاثاً فالأوسط أو أسداساً فالرابع والخامس وهو الأكمل لأنه الذي واظب عليه النبي صلى الله عليه وسلم *وقد قال عليه الصلاة والسلام أحبُّ الصلّة إلى الله صلاة داود كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه* (صحيح البخاري ١٠٧٩/١) وليس للمجتهد قدر في عدد ركعاته *لقوله صلى الله عليه وسلم الصلاة خير موضوع، فمن استطاع أن يستكثر فليستكثر* (الطبراني في الأوسط عن أبي هريرة) فأخذ بذلك الشافعي وقيل إثني عشر ركعة والذي صرّح به شيخنا مصطفى البكري الحنفي في المنهل العذب أنّ عدد ركعاته ستة عشر ركعتان سنة الوضوء

يقرأ فيهما بعد الفاتحة الكافرون والإخلاص ثم ركعتان يقرأ في الأولى بعد الفاتحة ولو أنهم ظلموا أنفسهم الآية وفي الثانية ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله الآية ثم يسلم ويستغفر الله بعد الركعتين مراراً ثم يصلى ركعتين من النافلة يقرأ فيما بعد الفاتحة عشر الاسراء وهو سنة من قد أرسلنا قبلك إلى قوله وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً ويعيد العشر في الركعة الثانية هذا إن قدر على ذلك فإن لم يقدر أو ضاق الوقت صلى بقیة التهجد وذلك إثني عشر ركعة يقرأ في الأولى بعد الفاتحة الإخلاص إثني عشر مرة أو أكثر وينقص من الثانية من العدد واحداً إلى تمام الركعات أو يقسم سورة يس على الاثني عشر ركعة والا اقتصر على الاخلاص في كل ركعة مرة قال بعض العارفين من قرأ يس في قلب الليل بحضور قلب فقد جمع له بين ثلاثة قلوب قلب القرآن وقلب الليل وقلبه فإذا دعا الله بعد ذلك إستجيب له ويسن أن يوقظ من يطمع في قيامه لأن في ذلك إعانة على فعل الخير فقد *قال صلى الله عليه وسلم: رحم الله رجلاً قام من الليل فصلى وأيقظ امرأته فصلت فإن أبت نضح في وجهها الماء أو رحم الله امرأة قامت من الليل فصلت وأيقظت زوجها فصلت فإن أبي نضحت في وجهه الماء وفي رواية رش ورشت بدل نضح ونضحت (سنن أبي داود ١٤٥٠/١) وفي رواية ما من رجل استيقظ من الليل فيوقظ امرأته فإن غلب عليها النوم نضح في وجهها الماء فيقومان في بيتهما ويذكران الله تعالى ساعة من الليل إلا غفر لهما* (الطبراني في الكبير ٣/٤٤٨ عن أبي مالك الأشعري) وينبغي أن ينوي القيام عند النوم بنية جازمة ليحوز ما في الصحيحين من *قوله صلى الله عليه وسلم: من أتى فراشه وهو ينوي أن يقوم يصلي من الليل؛ فغلبته عيناه حتى أصبح؛ كتبت له ما نوى، وكان نومته صدقة عليه من ربه* (سنن النسائي ٣/٢٥٨) *قال صلى الله عليه وسلم: استعينوا بطعام السحر على صيام النهار. وبالقبول على قيام الليل* (سنن ابن ماجه ١/١٦٩٣) وأن يمسح المستيقظ النوم عن وجهه وأن يستاك وأن ينظر إلى السماء وأن يقرأ إن في خلق السموات والأرض وإختلاف إلى آخر السورة وأن ينام من نعس في صلاته حتى يذهب نومه وألا يعتاد غير ما يظن ويكره ترك قيام الليل لمعتاده بلا ضرورة *لقوله صلى الله عليه وسلم:

لعبد الله بن عمر يا عبد الله لا تكن كفلان كان يقوم الليل ثم تركه فإن الله لا يملُّ حتى تملُّوا* (صحيح البخاري ١١٠١/١) وينبغي للمريد أن يأخذ نفسه بالرفق واللين ولا يحملها فوق طاقتها ولا تعتاد غير ما يظنُّ أن يقدر على إدامته *لقوله صلى الله عليه وسلم: إنَّ هذا الدين متين فأوغل فيه برفق ولا تبغض إلى نفسك عبادة الله* (البيهقي في السنن ١٨/٣ عن جابر)

لقوله صلى الله عليه وسلم: لا تُكابِدوا هذا الدين فإنكم لا تطيقونه وإن نَعَسَ أحدكم فليَنِم على فراشه فإنه أَسلم (مسند الفردوس للدليمي ٧٤٦٠/٥) *ولقوله صلى الله عليه وسلم: خذوا من العبادة بقدر ما تطيقون وإياكم أن يتعوَّدَ أحدكم عبادة ثم يرجع عنها فإنَّه ليس شيء أشدُّ على الله من أن يتعوَّدَ الرجل العبادة ثم يرجع عنها* (مسند الفردوس للدليمي ٢٨٣٢/٢)

وعنه صلى الله عليه وسلم: قال يا أبا الدرداء إن لجسدك عليك حقا، وإن لأهلك عليك حقا، وإن لربك عليك حقا، فأعط كل ذي حق حقه، فأفطر وصم وقم ونم، وائت أهلك (حلية الأولياء لأبي نعيم ١٨٨/١ عن أبي جحيفة) *وعنه صلى الله عليه وسلم: أيها الناس عليكم من العمل بقدر ما تطيقون فإنَّ الله لا يملُّ حتى تملُّوا وإنَّ أحبَّ الأعمال إلى الله أدومها وإن قل* (كنز العمال ٥٤٠١/٣ إلى محمد بن نصر عن أبي هريرة) ويكره تخصيص ليلة الجمعة بقيام من بين الليالي بخلاف إحيائها بقراءة سورة الكهف والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم لوروده كما مرّت.

الركن الثالث:

(الصمت) وهو عدم الكلام فيما لا يعني* روي عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: ألا أعلمك عملاً خفيفاً على البدن ثقيلاً في الميزان قلت بلى يا رسول الله قال الصمت وحسن الخلق وترك ما لا يعنيك وروي أنَّ الصلَاة عماد الدين والصمت أفضل والصوم جُنَّة من النار والجهاد سنام الدين والصمت أفضل* (أخرجه ابن أبي الدنيا رقم ١١٢) وعن عيسى عليه السلام العبادة عشرة أجزاء تسعة منها في الصمت وجزء في الفرار من الناس وقال بعضهم من كثر كلامه كثر سقطه ومن كثر سقطه هوى

في النار وقال السيد البكري في الوصية الجليلة للسالكين طريقة الخلوتية وعلى المبتدئ له أن يصمت بلسانه عن لغو الحديث وبقلبه عن جميع الخواطر في شيء من الأشياء فإن من صمت لسانه وقلبه إنكشفت له الأسرار وجلبت عليه المعارف الأكار فإذا صمت المرید بقلبه ولسانه إنتقل إلى المحادثة السرية لأن صمت الإنسان في نفسه لا يمكن أصلاً وهذا الصمت يورث معرفة الله تعالى ولقد تكلم في الصمت المتقدمون ولقد قلت فيه كما قالوا:

أَنْظِرْ أَخِي كَمْ فِي الصَّمْتِ مِنْ حِكْمٍ وَإِعْمَلْ بِهِ كَيْ تَنْلُقَرَباً وَإِحْسَاناً
وَأَصْمُتْ بِقَلْبِكَ عَنْ كُلِّ الْوُجُودِ وَقُمْ فِي وَصْفِهِ يَا فَتَى سِرّاً وَإِعْلَاناً
فَذَاكَ نُورٌ بِهِ تَهْدِي الْقُلُوبُ إِلَى حَضَائِرِ الْفُؤُسِ تَحْقِيقاً وَإِيقَاناً

الركن الرابع:

(العزلة) وهي الإنفراد والإنقطاع عن الخلق إيثاراً لصحبة المولى سبحانه وهي صفات أهل الصفة وأرباب الوصلة ولا بد للمريد منها في ابتداء أمره عن أبناء جنسه وإلا فلا يفلح:

لِقَاءِ النَّاسِ لَيْسَ يَفِيدُ شَيْئاً سِوَى الْهَدْيَانِ مِنْ قَيْلٍ وَقَالَ
فَأَقْلِلْ مِنْ لِقَاءِ النَّاسِ إِلَّا لِأَخْذِ عِلْمٍ أَوْ إِصْلَاحِ حَالٍ

* عن عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: مَا النَّجَاهُ؟ قَالَ: أَمْسِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ وَتَيْسَعَكَ بَيْتُكَ وَأَبِكْ عَلَى حَاطِيَّتِكَ * (سنن الترمذي ٢٤٠٨/٢) وقال ذو النون المصري لم أرى شيئاً أبعث على الإخلاص من العزلة والعزلة نوعان باطنة وظاهرة فالباطنة عزلة القلب مع الحق بحضوره معه وعدم ملاحظة الخلق بالكلية فيرى الناس أمثال أفياء كما أشار إلى ذلك أبو يزيد قال لي منذ ثلاثين سنة أخاطب الحق والناس يظنون أنني أخاطبهم وذلك صفة المحققين من الرجال الواصلين والظاهرة العزلة بالخلوة عن الخلق في مكان

بعيد بحيث لا تدرك منهم من يؤذيك ولا يدركون منك ما يؤذيهم مع التضرع الى الله والإنقطاع إليه قالت عائشة رضي الله عنها أول ما بدىء به النبي صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤية الصالحة الصادقة فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ثم حُببَ إليه الخلاء فكان يأتي حراءَ فينَحَّثُ أي يتعبَّد فيه الليالي ذوات العدد ويتزوَّد لذلك ثم يرجعُ إلى خديجة فيتزوَّد لمثلها حتى جاءه الحقُّ وهو بغار حراء ثم أعلم أيها الطالبُ سلوكَ طريق الإبدال التي هي الصَّمْتُ والسَّهْرُ والجوعُ والإعتزالُ القاصد مقاصد الكمال العازم على التجرُّدِ والدُخولِ في سنن الأبطال من أراد العُزلة بالخلوة لا بُدَّ له من تقديم التَّبَاعِدِ عن النَّاسِ قبل دخولها حتى تألف النَّفْسَ الوَحِدَةَ والإنفرادَ وتستعدَّ بتقواها وليقلل من الطَّعامِ والمنامِ ولينوي العُزلة في عُزَلته عن الخلق طلبَ القُربِ من أحبته ويحقق التوبة والأناية إلى الله بالتضرع والخشوع ويفرغ باطنه من الغش والحسد والمكر والخديعة والرياء ويربط منح أستاذه ربطاً محكماً حتى لا يصير فيه متبعاً لغيره من الخلق ولو شاهد منهم العجائب من خرق العوائد وهذا الاعتقاد أول فتح يفتح به على المرید أنه قد إستعدَّ للخلوة فيدخلها ومتى وجد في باطنه تعلقاً بالأغيار والتفاتاً للآثار فليخرج من الخلوة للعزلة فإنَّه قد يكون دخلها قبل تكميل شروط العُزلة فإن لم يُحكَمْ المریدُ العزلة لا يدخل الخلوة ولا يحظى بالجلوة فالجلوة أثر عن العزلة والعزلة أثر عن الهمة والهمة أثر عن التوفيق الذي هو خلقُ قدرة الطاعة في العبد ثم يدخل الخلوة بالتوفيق بعد تنظيفها بالكنس والغسل وتطيبها بالبخور كالجاوي والعنبر الخام بالشروط المعتبرة عندهم فقد اشترطوا لها أربعة وعشرون شرطاً أذكرها تعميماً للفائدة (الأول) أن يعود نفسه السَّهْر والذكر وخفَّة الأكل والعُزلة كما تقدم حتى يتمرنَ على ذلك (الثاني) أن يستأذن الشيخ في دخولها ولا يدخلها بلا إذن البتة ما دام في حجر التربية (الثالث) أن لا يدخلها على نية حبس نفسه عن الناس ليريحهم من شره وضره ويرتاح من شرهم وضرهم ولقد أجاد بعضهم حيث قال:

وبلاي كله من رفقتي

راحتي يا إخواني في خلوتي

كُلَّمَا عَاشَرْتُ قَوْمًا مِنْهُمْ

نَقَضُوا الْعُهُودَ وَخَانُوا صُحْبَتِي

مَا إِعْتَرَالِي عَنْهُمْ مِنْ مَلٍ

بَلْ وَجَدْتُ رَاحَتِي فِي عَزْلَتِي

(الرابع) أن يدخلها كما يدخل المسجد معوذاً مبسلاً مخلصاً لله تعالى (الخامس) أن يدخلها الشيخ قبله ويركع فيها ركعتين بجمعية منه وإنَّ ذلك يقرب الفتح على المرید (السادس) أن يعتقد أنَّ الله ليس كمثلته شيء ولا تدركه الأبصارُ وأنَّ الله لا يأمرُ بالفحشاء ولا يتركُ الأعمال الصالحة في عموم إقامته ثم إن لاح له شيء في خلوته وقال أنا الله وأنت وليّ وحُبِّي وقد أبحتك إرحم نفسك من العناء والمشقة والتعب فليست أغضب عليك بعد هذا اليوم فليعلم أنَّ هذا الخطاب لا يخلوا إمّا أن يكونَ من جهة من الجهات الستة أو من غير جهة فإن كان من جهة فهو من الشيطان قطعاً فليتعوذ بالله ويتحصن بالذكر والإخلاص وقراءة القرآن إن كان قارئاً وإن كان هذا من غير جهة فهو من الحق سبحانه وتعالى لكن لا يخلوا إمّا أن يكون من باب المكر والطرده من الله (الله يستهزىء بهم ويمدّهم في طغيانهم يعمهون)(البقرة-١٥) وإمّا أن يكون من باب الرضى الدائم كما وقع لأهل بدر من قوله لقد رضى الله عن المؤمنين فعلم بالضرورة أنَّهم بعد ذلك لم يدعوا فرضاً ولا نفلاً ولم يخرجوا عن حكم شرعي وعلامة الثاني فيستعذ بالله من الله كما جاء في الحديث أعوذ بك منك ويحتفظ من الأول بدليل الاعتقاد العلمي الإيمان بالله ليس كمثلته شيء ولا تدركه الأبصار ونحو ذلك فإنه ينصرف عنه خائباً وينجو من إغوائه وإضلاله ولا بُدَّ من تلبسه بعمل قولي كان أو فعلي يشغل به نفسه لما قيل أنَّ النفس دائمة الإشتغال إن لم تشغلها بحق أشغلتك بالباطل (السابع) أن لا يُعلّق نفسه بكرامة ولو عرض عليه أنواع الكرامات لكن يقبل ما يرد عليه من الله بحسب الأدب ولا يقف معه فإنه مهما وقف مع شيء فيحسن الظنَّ بالله تعالى وليقل ربّ زدني علماً (الثامن) أن لا يسند ظهره إلى جدار ولا يتكئ على فراش ويكون مُطرقاً رأسه مُغمضاً عينيه (التاسع) أن يشغل قلبه مراعيّاً خواطره بالنّفي عن قلبه مُراقباً لرّبّه مُستحضراً جلوسه بين يديه *لقوله تعالى: أنا جليس من ذكرني* (المصنف وأحمد)

(العاشر) أن تكون الخلوة مُظْلِمَةً لا يدخلها شعاع الشمس وينبغي أن يكون إرتفاعها قدر قامتك وطولها قدر سجودك وعرضها قدر جلستك ولا يكون فيها ثقب ولا كوة وبابها يكون لجهة القبلة بعيداً من أصوات الناس وبابها غير عال قصير وثيق في غلقه وليكن في دار معمورة بالناس وإن أمكن أن يبيت أحد عندك بحيث يكون قريباً من باب الخلوة كان أحسن بشرط أن لا يُكثِر من الحركة والهرج لئلا يُشغَلَ قلبك بها ولا تكثُر الحركة أنت أيضاً فيها (الحادي عشر) الصوم مع تقليل الأكل عند الفطر وعليه تقليل الماء حسب الجهد والطاقة فإنّ ذلك ما يوجب تقليل الاجزاء الهوائية والنارية فيصفو القلب بذلك (الثاني عشر) دوام الضوء فإنه نور ظاهر مع إستدامة إستقبال القبلة فيها (الثالث عشر) السكوت إلا عن ذكر الله أو ما دعت إليه ضرورة شرعية وما عدا ذلك محبط للعمل مذهب لنور القلب (الرابع عشر) إذا خرج من خلوته لوضوئه يخرج مطرقاً رأسه غير ناظر لشيء إلاّ لحاجة فإنهم يكرهون فضول النظر كما يكرهون فضول الطعام مغطياً رأسه بشيء مستديراً من الهواء لئلا يصيبه وأعضاءه مخطلة من الذكر (الخامس عشر) المحافظة على الجمعة والجماعة فإنّ المراد الأعظم من الخلوة عند القوم متابعة النبي وفي ترك ذلك خلل عظيم والمتابعة حيث كان في المسجد الذي تقام فيه أو يقتدي بشخص وهو داخل الخلوة وهو يراه ويفتح الباب اللّهُمَّ إلاّ أن يغلبَ عليه الحالُ ويستولي فإن إستولى الحالُ فالحكْمُ له وهو عذر ظاهر قال السهروردي رأينا من تشوّس عقله في خلوته ولعلّ ذلك من ترك الجماعة ولا يجلس مع النَّاس بعد الصلاة ويصلي السنن في الخلوة ولا يقتصر على الفرائض والرواتب والركعتين عند كلّ طهارةٍ من الحدث ويأتي بأوراد الطريق (السادس عشر) المحافظة على الأمر الأوسط بين الجوع والشبع وممّا ينبغي له إذا كان وقت الفطر ولم يجد نفسه تايقة للأكل والشرب أن يفطر على زبيبة أو لوزة لأن تعجيل الفطر سنة أو جرعة ماء وليقم إلى الصلاة فإذا أتمّها بأدابها فليحضر بعد ذلك ما إستعدّه لغذائه فيها وإذا كان عنده من يخدمه شربه أرز ولا يجعل فيها ملحاً إلاّ إذا كان بحيث لم يظهر ملوحته ولكن الذي يأكله من الشعير والا من البرّ من غير ملح فيه أيضاً هذا إن لم يحصل به مشقة بتأخير العشاء ولا

قدمه وشرط بعض الشيوخ أن يكون طعام المُحْتَلِّي وسيما لم يتعصل عن حيوان (السابع عشر) أن لا ينام إلا عن غلبة نوم وحد الغلبة أن يتشوّش عليه الذكر ولا ينام لراحة البدن بل إن قدر أن لا يضع جنبه الأرض وينام جالساً فعل فإنّ النوم ينمي الرطوبة ونمو الرطوبة يشغل الأجزاء الترايبية فيتكدر صفو القلب ونشط الروح عن الترقّي في الملكوت فلا يحصل له نتيجة الخلوة (الثامن عشر) نفي الخواطر كلها خيراً كان أو شراً لأن الخواطر تفرق القلب عن الجمعية الحاصلة بالذكر إلا أن يبلغ درجة التمييز فإنه عند ذلك ينفي ما يجب نفيه ويبقى ما يجب بقاءه وإنما المرید في الابتداء ينفي الخواطر كلها لأنه دخيل في الطريق لا يميز له بين الخواطر. والخواطر ما ترد على الضمائر والوارد عليها في اليوم واللييلة إثنان وسبعين ألف خاطر منحصر في خمسة خواطر أمهات لأنها تارة بإلقاء الحقّ وتارة بإلقاء الملك وتارة بإلقاء القلب وأخرى بإلقاء الشيطان ويكون بإلقاء النفس فإن كان من قبل الله يسمّى خطاباً وإن كان من قبل الملك يُسمّى إلهاماً وإن كان من قبل القلب يُسمّى هاتفاً وإن كان من قبل الشيطان يسمّى وسواساً وإن كان من قبل النفس يُسمّى هاجساً فكل ما فيه قرينة فهو من الأول والثاني وكل ما فيه مخالفة أو موافقة معلومة فهي من الثالث والرابع ولكل واحدة من الأربعة علامة تميّزه عن الأخرى فينبغي إذا خطر له خاطر أن ينظر إلى ما يعقبه فإن أعقبه برّ ولذة وسرور ولم يجد له ألم ولا ضرر ولم يغيّر له صورة فهو الملكي وينزل علماً وفهما وإن أعقبه تشويش في الأعضاء ووجع وألم وضيق كان من الشيطان وينزل تخبيطاً وأمّا إذا أعقبه ألم في القلب وفي الصدر وضيق في النفس تكراراً كان من النفس لأن النفس إذا طلبت شيئاً من شهواتها ألحّت في طلبه فقد شبّهوها بالطفل الصغير إذا أخذت منه شيئاً فإنّه لا يزل يبكي حتى تردّ ما أخذته منه إليه بخلاف الشيطان فإنه مقصوده الإغراء بأي وجه كان وأمّا إذا كان له على القلب صولة ولا للنفس صولة ولا للشيطان معه مجال ولا للملك عليه أعراض ولا يرد بأمر ولا نهى ولا يندفع بالدفع فهو الأول فإن له على القلب حكماً كالسبع الضاري على الفريسة الضعيفة لكن هذا الفرق يحتاج الى صفاء قلب وسريرة وقال بعضهم إذا كان خاطر من قبل الله تعالى

كان تنبيهاً للعبد وإيقاظاً له وإن كان من قبل الملك يكون تحريضاً على العبادة وإن كان من قبل القلب وافق الملك وإن كان من قبل الشيطان يكون تزييناً لمعصية وربما يدعو الشيطان إلى عبادة ويحضه عليها وعلى ذكر آخر أو على شهوة فيشتبه بالملك وإنما يفرق بينهما بأن الخاطر الملكي يتولد منه السكون والشيطان يعقبه الوحشة والثقالة والنفس تلح في الطلب وتبالغ ولا تقبل العدل كما تقدم فلا ينفى هذا الخاطر إلا بنفي تام وجد بليغ وأجمع الأشياخ أن النفس لا تصدق في إقائها وأن القلب لا يكذب (تنبيه) من قصر فهمه عن إدراك حقيقة الخواطر والتبس عليه الأمر فليزن الخاطر بميزان الشرع فإن كان فرضاً أو نفلاً يمضيه وإن كان محرماً أو مكروهاً ينفيه فإن استوى الخاطران في نظر العلم ينفى أقربهما إلى مخالفة هوى النفس فإن النفس يكون لها هوى كامن في إحداها والغالب في شأنها الإعوجاج والرُّكون إلى الدون وقد يعبر عن الخاطر بالوارد وكلاهما بمعنى واحد وقيل يفرق بينهما بأن الوارد لحظة أو ساعة وإن زاد في مثله يوماً فهو الخاطر ومن علامات الخاطر أن يمكث ثلاثة أيام ومن علامات الوارد الالهي والباطن أن العبد ما دام مستغرقاً مع الله غائباً عما سواه فأفعاله كلها تصدر عن الله لا عن نفسه دعها من أي قسم كان من الباطن والظاهر ومن عالم الغيب أو من عالم الشهادة أو من إدراكات العقل أو من غيره أو من علاماته أيضاً إذا رجع عن أفعاله لا يميّز ما فعلَ من فعلٍ ما من اكلٍ أو شربٍ أو غير ذلك من أيّ من الأفعال فكان في ذلك الوقت فعلاً بالله لأنه ليس من خلق جديد وأشار صاحب الإنسان الكامل بقوله يأكلون ويشربون ويحلفون بالله إنهم لا يأكلون ولا يشربون وهم عند الله بريئون صادقون فتصديق الحق يقال لهم في ذلك على أنّ أفعالهم ليست صادرة عنهم وإنما هي كلها حميدة وانتساب الحامد لله وعلامة الأفعال الحميدة السنية أن تكون دالة على الله في كل فعل من الأفعال وحال من الأحوال وإنها ليست متعلقة بالأكوان بل طائفة عن الأكوان في طلب صاحب الأكوان والوارد الملكي يرد من عالم الملكوت وفيه اصطلاح السادة الصوفية رضى الله تعالى عنهم إن عالم الملك هو البشرية وعالم الملكوت هو الروحانية لأن الروحانية متعلقة بالملك والبشرية متعلقة بالنفس لقول

بعضهم ما دمت بشراً أنت بشر أي ما دمت مع نفسك الحيوانية فأنت في أفعالك الدنيا غرقان في بحر الدار البشرية وهي النفس الحيوانية ومن علاماتها أنها لا تأمر بخير قط كما مرّ ومن علامات الدخول في مقامات الروحانية أن يتخلّص من أوصاف نفسه الحيوانية ومن أفعاله الدنية حتى لا يبقى عليه منها من بقية وتكون أفعالها كلها طيبة سنية لأنها صارت على النفس المرضية ومعرفة هذه الخواطر من أهم الأمور على المرید في الخلوة يستعين بها على عدويه النفس والشيطان لا سيما في هذا الحال الذي زلت فيه الأقدام إلا من عصمه الله وقليل ما هم قال شيخنا البكري في هدية الأحباب ما ينفع في طرد الخواطر عن القلب إذا هجمت عليه وأشغلته عن ربه الطهارة أولاً بأن يُجدّد الوضوء فإن لم يذهب فليرفع الصوت بالذكر إلى أن تقل ثم يعود إلى خفضه بعد ذلك فإن لم تقل برفع الصوت فليتوجه بهمة شيخه في دفعها فإذا ذهبت ثم عادت فليضع يده على قلبه وليقل سبحان الملك القدوس الخالق الفعال إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز سبع مرات وقيل إنَّها تنفع في زوال الوسوسة فتذكر عقب كل فرض سبعاً أو ثلاثاً وذكر البوني في شمس المعارف الصغرى مما ينفع لإستيلاء الخواطر على القلب أن يتوضأ ويذكر يا قدير فإنه يذهب عنه ثم قال وإذا وجد إسترخاء في بدنه وإستشعر الضعف فليغتسل وليذكر يا قوي يا قدير إلى أن ينقطع نفسه سبعة أنفاس فإن الله يحدث في أعضائه قوة باطنة وظاهرة ثم قال ومن أدركه قلق وتشويش خاطره من إختلاف الأفكار فليتوضأ ويذكر يا أمين يا هادي سبعة أنفاس كاملة كما تقدم فإن الله يذهب جوعه عنه ويسكن خاطره ويصفي وقته وذكر غيره مما ينفع للجوع إسمه تعالى الصمد فإنَّه إن ذكره الجائع ظهر أثره في الحال وإسمه تعالى الجليل يتلوه الظمآن يسكن ظمؤه وقيل إنَّ سورة تبارك إذا تلاها الإنسان ويده على قلبه سكن عطشه (التاسع عشر) دوام ربط قلبه بالشيخ المسلك الكامل الناجح سلوكه على الكتاب والسنة شرعي حقيقي وعلى المرید إستفادة علم الوقاية منه على وجه التسليم فإنَّ الأستاذ باب المرید الذي يدخل منه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنَّه خليفته ولذلك يجب رعايته بالظاهر والباطن على الوجه الأكمل (العشرون) أن لا يفتح باب الخلوة

لطارق يطرق عليه الا لشيخه ويرد الجواب بأية من القرآن إن أمكنه وأن لا يكلمه إلا بكلمة ولا يزيد عليها ويقصد بالكلمة الذكر ولا يتكلم إلا مع شيخه مدة الخلوة فإن ذلك مما يفسد عليه خلوته فإذا قام الشيخ عليه خادماً فلا يزيد في الكلام على الحاجة من أربع كلم الى ثلاثة أو من ثلاثة إلى اثنين ثم إلى واحدة فإن الكلام مفسدٌ وتفريق للجمعية (الحادي والعشرون) إذا رأى شيئاً في الواقعة فلا يستحسنه ولا يطلب من الشيخ تأويله ربما لا يرى الشيخ مصلحة في التأويل ولا يكتُم من الشيخ واقعة لقبحها أو لحسنها فإنه يكون خائناً والله لا يحب الخائنين فإن قال له هذا نفسي أو شيطان أو غير ذلك وجب عليه إعتاده ما لم يحصل إلى الذوق فإن وصل وذاق الخواطر وعرفه وميَّزه عن غيره حسب الفرق بين الشهد والحنظل فلا بأس بإعتاده على معرفته وأما معرفته لذلك بالعبارات فيصعب نوع صعوبة فلذا شبهه شبه مبدأ هذا الأمر إلى منتهاه فإن مبدأه مرض ومنتهاه صحة فإن القلب ذو أمراض في الابتداء فإن داواه الشيخ الحاذق اللبيب الناجح الفالح المسلك صح وسار سليماً وسالماً فإذا صحَّ القلب وسلم ذوقه سلمت الأتباع من الشبه (الثاني والعشرون) دوام الذكر وهو لا إله الا الله كما إختاره الجنيد وجماعة و الله على ما إختاره بعض المتأخرين وقال الشيخ دمرداش إنَّ الذكر في الخلوة يكونُ بما يعطيه الشيخ للمريد حسب ما يراه وقال بعضهم المبدأ لا إله إلا الله والمنتهى الله وقال بعضهم التحقيق أن ذلك راجع إلى الذكر فإن وجد التأثير في قلبه بلا إله إلا الله لزمه وأكثر منه وإن وجد التأثير بالله لزمه وأكثر منه وأجمع الأشياخ المرشدون إنَّ المرید لم يسلك طريقاً أقرب ولا أوضح من الذكر ولا يشتغل بسواءٍ ما عدا السنن والفرائض وقال في هدية الأحاباب أنه يشتغل بجميع أوراد الطريق ولا يُخل بأدبٍ من آدابها كما تقدّم وينبغي أن يشهدَ الذَّاكِرُ أنَّ المحرك له في الذكر والمنطق به هو الله وحده ولا قدرة له أصلاً فيكون الحقُّ تعالى بهذه الملاحظة هو الذاکر (الثالث والعشرون) الإخلاص وحسم مادة الرِّياء والشرك الخفي لأنَّ ذلك محببٌ للعمل قال تعالى: **(فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً)**(الكهف- ١١٠) (الرابع والعشرون) أن يعيّن مدة الخلوة فلا يُحدِّثُ نفسه بالخروج منها بعد الأربعين

فإن حدّث نفسه فقد خرج في اليوم الأول ولكن يحدثها بأنها قبره إلى يوم القيامة وهذا دقيق لا يتنبه له إلاّ البالغون ولا يأنس إلى الخلوة حتى بجانب كل من يعاشره ويصاحبه ويأتانس بكلامه أو برؤياه فيستوحش من ضدها ثم يستأنس بذكر الله عزّ وجلّ ثم لا يزال مستأنساً بالخلوة والذكر حتى تنقطع عنه الأضداد ثم يأخذ من هنا في بداية الخلوة المعنوية فيكون بصورته مع الأغيار ومعناه مع الله عزّ وجلّ ويؤيد ذلك قول الجنيد لمريده إذا كان أنسكم بالله في الخلوة إستوى عندكم الصحارى والخلوات وإن كان أنسكم في الخلوة ذهب أنسكم إذا خرجتم منها فهذه الشروط مما يجب على المرید حفظها ومعرفتها ليعرف ما يطلب منه ويجب التحرُّز منه ثم ملاك هذا كله الهمة والتوفيق وأما أصول الطريق فقد عدّها صاحب القول المتين في فضل الذكر والتلقين عشرة وأوصلها إلى ثلاثة عشر (الأول) التوبه بالمعنى المتقدّم (الثاني) المجاهدة للنفس وهي إتعاب النفس في الأمر الجائر وقال بعضهم ترك المألوفات والعادات وتحمل المشقّات وإعلم أيها المرید الموفق السعيد أنّ القوم أجمعوا على أنّ المُجاهدة لا بُدّ منها في سلوك طريق الأخيار الذين هم سيئاتهم حسنات الأبرار مستدلين لذلك بالكتاب والسنة أما الكتاب فقوله تعالى: (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبنا ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه)(العنكبوت-٦٩) (وجاهدوا في الله حق جهاده)(الحج-٧٨) (وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً)(النساء-٩٥) وأمّا السنة *فقوله صلى الله عليه وسلم: إعملوا فكلّ ميسر لما خلق له* (صحيح البخاري ٤٦٦١/٣) *وقوله صلى الله عليه وسلم: رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر قيل يا رسول الله وما الجهاد الأكبر قال الجهاد في النفس* (البيهقي في الزهد ٣٧٤) والمجاهدة في حصول التعب والمشقة في حال السلوك فمن وجد مشقة وتعباً قيل له مجاهد ومن لم يجد ذلك لا يقال له مكابد فإنّ المجاهدة مكابدة قال الله تعالى: (إنّ الله إشتري من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأنّ لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله)(التوبة-١١١) ثم أمرهم بالجهاد في النفوس فالنفوس عارية عندهم فمن تحقق في هذا المعنى لم يجد مشقة للمجاهدة إلا من حيث ظاهره وأما من حيث باطنه فهو مستريح من التعب والنصب قال سيدي عبد الوهاب الشعراني أجمع الأشياخ أنه لا بُدّ

للمريد من المجاهدة في إبتداء أمره وأجمعوا أنّ من رام الطريق بغير مجاهدة فقد رام المحال قال بعض الأسيّاح كل من ليست له بداية محرقة ليست له نهاية مشرقة فالبدائية يطالب فيها المرید بالتصفية والتخلية فيحظى بالتخلية فالتصفية أن يصفى سريرته من التعويق بالأغيار والوقوف مع الأوهام والأفكار والتخلية هي التخي عن السوى وترك كل ما بالسالك من هوى ولها سببان الذكر والفكر فبالذكر تشرق الأنوار وتفرق الأكدار وبالفكر يعرف العبد ما يناسب حاله فيلوي عليه آماله وما لا ينفعه تركه ووضع والتصفية والتخلية يكونان في العقل والفكر والقلب والروح والسر والحواس الظاهرة إذ هما كناية عن التطهير والتقدّيس. فطهارة العقل عدم وقوفك عند كون من الأكوان. وطهارة الفكر أن لا يمرّ فيه ما يشغلك عن الرحمن وإعلم أنّك إذا قلت في الوقت مع المأمور مقهور فقد أعطيت بمجاهدتك كمال الأجور. وطهارة القلب فراغه عن حلول شيء فيه إذ هو بيت الرب فيجب عليك أن تفرغه وتصفيه. وطهارة الروح عدم الوقوف مع الفيض والفتوح والتحقق بحقائق العبودية والخروج عن الوجود بالكلية. وطهارة السر عدم شهود سواه والغيبة به فيه عن كل ما يراه. وطهارة الحواس الظاهرة بمياه الفيوضات الباهرة. وطهارة السمع عدم السماع إلاّ منه. وطهارة العين عدم شهود غير العين في كل أين وبين حسن وشين. وطهارة الشم في إستنشاق نسيم الحمى وقال عليه الصلاة والسلام من عرف نفسه فقد عرف ربه وطريق معرفة النفس على نهج الخواص الكمل لا يكون إلاّ بالمجاهدة والتصفية وهما من أنواع المجاهدة فمن لا مجاهدة له لا مشاهدة له قال أبو علي الدقاق من زين ظاهره بالمجاهدة زين الله باطنه بالمشاهدة ومن لم يجاهد نفسه في بدايته لم يشم للطريق رائحة وقال بعضهم بنيت الطريق على ثلاثة أشياء لا يأكل مريدها إلا عند الفاقة ولا ينام إلا عند الغلبة ولا يتكلم إلا عند الضرورة وأنشد بعضهم فقال:

ومن طلب العلى سهر الليالي

بقدر الكدّ تكتسب المعالي

يغوص البحر من طلب اللآلى

تروم الوصل ثم تنام ليلا

ومن رام العلاء بغير كدٍّ واضاع العمر في طلب المحال

وإعلم أنّ مجاهدة النفس وعلاجها أشدُّ وأصعب من مجاهدة الشيطان لأن النفس لا يمكنك التجردُّ عنها بحال من الأحوال قطعاً وهي مصيدة الشيطان وآلته وهو عدو خارج وهي عدو حاضر معك في داخل جوفك واللص إذا كان من أهل البيت ضاعت فيه الحيل وكثر فيه الضرر بخلاف ما إذا كان خارجاً فإنك تدبر عليه وتمنعه وأيضاً الشيطان عدو مبغوض والنفس عدو محبوب والمحب يعمى عن عيوب محبوبه فإذا إستحسن المرء من نفسه قبيحاً لا يطلع عليه ولا ينظر إليه حتى لا يقع في المهالك والبلاء وهو لا يشعر ومن شأنها تحسن القبيح وتقبح الحسن لصغرهما وعدم بلوغها وقال بعضهم من لم يجاهد نفسه في جميع الحالات ولم يخالفها في جميع الشهوات ولم يجردها من جميع المكروهات وإلاً فهو مغرور في سائر الأوقات *قال عليه الصلاة والسلام: هل أدلكم على صاحب إن أنتم أجمعتموه أو أهنتموه أكرمكم وإن أكرمتموه أفضى بكم إلى شرٍّ نهاية قالوا يا رسول الله والله إن هذا لشر صاحب قال والذي نفسي بيده إنها لنفوسكم اللاتي بين جنوبكم* وقيل أوحى الله إلى بعض الأنبياء عادٍ نفسك فليس لي منازع في المملكة غيرها أي لأنها تطلب ما هو للرب تعالى وهو الكبرياء والعظمة والجاه والشهوة وإمتثال الناس لها قال بعضهم سجنك نفسك فإن خلصت منها وقعت في راحة الأبد وإن وقعت في حبالها وقعت في تعب الأبد وفي الحقيقة إنَّ أمر النفس ومجاهدتها وعلاجها صعب وعسير لا يكن بمرة واحدة بل بالتكرار مرة بعد أخرى وقد شبَّهها بعضهم بالدَّابة الحرون فلا تنقادُ إلاَّ باللجام وإنما تنقاد وتذل بثلاثة أشياء (الأول) منعها من شهواتها فإنَّ الدَّابة الحرون إنما تلين إذا نقص علفها (والثاني) حمل أثقال الطاعات لأن الدابة الحرون إذا قلَّ علفها وزيد في حملها ذلت وضعفت وصغرت وإنقادت ورجعت وأطاعت (الثالث) يستعين عليها بالله لا بحزمه ولا بعزمه إلا بتوفيق من الله ألا ترى إلى قول الصديق الأكبر إنَّ النَّفسَ لأَمَّارَةٌ بالسوء إلاَّ ما رحم ربي ولا بدَّ للمريد أن يكف نفسه الأعمال الشاقة التي يعسر عليها إرتكابها من صوم

وصلاة وذكر ومجانبة مألوف ثم ينقلها إلى ما هو أشق من ذلك حتى تصبر ولا تنفر من طاعة ولا تنتقلها بل تتأذى بتركها الطاعات فمهما عودتها تعودت وإن منعها صبرت وإن تركتها في شهواتها غوت وهلكت قال صاحب البردة:

والنفس كالطفل إن تهمله شبَّ على حُبِّ الرضاع وإن تَفَطَّمَهُ يَنْفَطِمِ

وأنشد بعضهم فقال أبياتاً:

صبرت عن اللذات حتى تولت وألزمت نفسي هجرها فاستمرت

وكانت مدى الأيام تقسى عزيزة فلما رأت عزمي على الدلّ ذلّت

وما النفس إلا حيث يجعلها الفتى فإن أطعمت تاقت وإلا تسلّت

وسياتي الكلام على أوصافها وما يتعلق بها في الباب العاشر إن شاء الله تعالى (الثالث) الحزن لله وهو قبض القلب عن التفرقة في أودية الغفلة وصاحبها يقطع في طريق الله ما لا يقطعه من فقد حزنه في سنين وفي الخبر إن الله يحب كل قلب حزين (الرابع) الدعاء مخ العبادة و مفتاح الحاجة و مفتاح العبادة و إن الله يحب الملحين في الدعاء وإنّ الدعاء يرد البلاء النازل من السماء* وفي الخبر إنَّ العبد ليدع الله وهو عليه غضبان فيعرض عنه ثم يدعوه ثم يدعو فيقول الله لملانكته أبي عبدي أن يدعو غيري أشهدكم أنني قد أستجبت له* (مسند الفردوس للدلمي ٧٠٨٨/٤) (الخامس) الخوف وهو فزع القلب من سطوة الرب وهو من شروط الإيمان قال تعالى: (وخافون إن كنتم مؤمنين) (آل عمران-١٧٥) وقال سليمان الداراني ما فارق القلب خوفاً إلا خرب وهو ثلاثة مراتب (أولها) خوف الوعيد وتهديد العذاب وسطوة الاقتدار وعدم قبول العمل* قال صلى الله عليه و سلم: لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً ولا تلذذتم بالنساء على الفراش* (صحيح البخاري ٤٣٤٥/٣) فصاحبه لا ينقل قدمه لهوى نفسه ولا لما ليس فيه رضى مولاه وسأل بعضهم مالي لا أرى الخائفين فقالوا لو كنت خائفاً لرأيت الخائفين (ثانيها) خوف المكر وسوء الخاتمة وسلب

الأحوال (ثالثها) خوف السابقة من حيث كونه ما يفعل به لم يعلمه *قال صلى الله عليه و سلم: إنَّ أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع أو باع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها* (رواه البخاري ومسلم) قال بعضهم إلزم الخوف مع الحزن بتقوى الله تريح وإترك الدنيا جميعاً إنَّ خوف الله أرجح وإجتهد في ظلم الليل إذا ما الليل أجنح وإقرع الباب بذلٍ فلعل الله يفتح (السادس) الرجاء وهو توقع أمر محبوب على سبيل الاقتراب وهو ثلاثة مراتب (الأولى) رجاء الشفاعة مع حالة الإسراف وقلة العمل فيرجو دخوله في شفاعة الشافعين من رسول الله وغيره من عباد الله الصالحين من كونه الحق سبحانه وتعالى قال لنبيّه صلى الله عليه وسلم ولسوف يعطيك ربك فترضى فهو لا يرضى صلى الله عليه وسلم أن يكون أحد أمته في النار قال الإمام علي كرم الله وجهه إنَّ هذه الآية أرجى آية في القرآن فعامة المؤمنين يرجون الشفاعة لكن مع صحة الإيمان بالله ورسوله واليوم الآخر وإقامة حدود الله بالتقوى فإنَّ ذلك موجب إستحقاق الشفاعة ثم قال يا ربَّ أنت إلهي وفيك أحسنت ظني يا ربَّ فأغفر ذنوبي وعافني وإعفُ عني العفو منك إلهي والذنب قد جاء مني والظنُّ فيك جميل حقق بحقك ظني (الثانية) رجاء الرحمة وينشأ ذلك من سعة الرحمة والمنة لقوله تعالى ورحمتي وسعت كل شيء *وقال صلى الله عليه و سلم: معناه إنَّ الله خلق يوم خلق السموات والأرض مائة رحمة كل رحمة منها طباق ما بين السموات والأرض جعل منها رحمة في الأرض فبها تعطف الوالدة على ولدها والوحوش والطير بعضها على بعض وأخر تسعة وتسعين فإذا كان يوم القيامة كملها بهذه الرحمة* (صحيح مسلم ٢٧٥٣/١٧) *وقال صلى الله عليه و سلم: لن يدخل الجنة أحد بعمله قيل له ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا إلا أن يتغمّدني الله برحمته* (صحيح البخاري ١٥٧/٧) *وفي الخبر يؤتى يوم القيامة برجل من أمّتي وعليه من الذنوب ما لا يحصى فيقف بين يدي الله تعالى فيحاسب ثم يؤمر به إلى النار فيلتفت فيقول الله تعالى يا عبدي ما كان التفاتك فيقول العبد يا ربَّ تسألني عن أمر وأنت أعلم به مني وما كان ظنّي بك هذا فيقول الله تعالى وما كان ظنك بي فيقول يا ربَّ عصيتك ولم أقطع رجائي منك فيقول الله تعالى

لملائكته وعزتي وجلالي ما كان ظنَّ عبدي بي هذا الظنُّ ولا كان رجاءه هذا الرجاء ولكن هذه دعوة إدعاها هذه الساعة أشهدكم أنني قبلت دعواه وغفرت له وحققت ظنه إذهبوا به إلى الجنة*.

ويقال في المعنى:

ربي إن تغفر فهذا ظنُّنا وإن تعدُّب كنت عدلاً منصفاً
قادر ربي على كليتهما فأقض بالأولى بجاه المصطفى

(السابع) الورع وهو خمسة أشياء ورع عن الحرام وورع عن المكروهات وورع عن الشبهات وورع عن المباحات وورع عن الأغيار فأما الورع عن الحرام فهو سلامة الدين عن طعن الشارع فيه وأما الورع عن المكروهات فهو السلامة من الوقوع في العطب وأما الورع عن الشبهات فهو استبرأؤه للعرض والدين وأما الورع عن المباحات فهو فضيلة عند القوم واجب إلا على حدِّ الضرورة وأما الورع عن الأغيار فهو أن لا تحتاج شركاً بالله ولا يطرق قلبك سواه فيرى الناس أمثال أفياء* قال صلى الله عليه وسلم: لو صليتم حتى تكونوا كالحنايا وصتمتم حتى تكونوا كالأوتار وأجريتكم الدموع كالأنهار فلا ينفعكم إلا بورع صادق*(الثامن) التقوى وهو لغة قلة الكلام واصطلاحاً التحرز بطاعة الله عن مخالفته بإمتثال أوامره وإجتنب نواهيه وقال بعضهم في المعنى أبياتاً:

ولست أرى السعادة جمع مال ولكن التقى هو السعيد
فتقوى الله خير الزاد ذخري وعند الله للتقوى المزيد
وما لا بدَّ أن يأتي قريب ولكن الذي يمضي بعيد

(التاسع) الزهد وهو قصر الأمل ليس هو بأكل الغليظ ولا بلبس العباءة قال الله تعالى قل متاع الدنيا قليل* وقال صلى الله عليه وسلم: إذا رأيتم الرجل قد أوتى زهداً في الدنيا

و**منطقاً فتقربوا به*** وهو خمسة أقسام (الأول) أن تزهد ما في أيدي الناس يحبك الناس (الثاني) أن تزهد في الدنيا يحبك الله (الثالث) أن تزهد أقوالك وأفعالك وأحوالك وتتبرى منهن وترحل عن علمك وعملك (الرابع) أن تزهد المقامات والتصرفات والكشف والكرامات عند الواردات (الخامس) أن تزهد ما سوى الله والزاهدون هم الآمنون الوارثون إنَّ الأرض لله يورثها من يشاء من عباده الذين يرثون الفردوس ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمةً ونجعلهم الوارثين (العاشر) الصبر وهو حبس النفس عن الشكوى قال الله تعالى: **(يا أيها الذين آمنوا إصبروا وصابروا ورابطوا واتَّقوا الله لعلكم تفلحون)**(ال عمران-٢٠٠) وقال تعالى: **لنبيِّه محمد صلى الله عليه وسلم (وإصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه)**(الكهف-٢٨) وقال تعالى: **(وأمر أهلك بالصلاة وإصطبر عليها)**(طه-١٣٢) وقال تعالى: **(إنَّما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب)**(الزمر-٣٩) وهو ثلاثة مراتب (أولها) الصبر على ترك المخالفة بأن يحبس نفسه عن ما يخالف الشرع وعن شكوى البلى والمحن الظاهرة والباطنة عن كل أحد إلا عن شيخه فإن شكوى ذلك إليه لا يقدر في صبره لأنه ينظر في إصلاح ظاهره وباطنه وإنَّ أهل الله تعالى يفرحون بالبلى ولا يشكونها ودُّكر أنَّ بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أصابته البلى وكان يعرف الإسم الأعظم فقبل له لو دعوت الله به يكشفها عنك فقال إنَّ البلى هدايا الله تعالى وأنا أكره أن أردَّ هدايا الله أرأيتم لو أهديتم هدية لشخص فردَّها عليكم فهلا تتضررون بذلك قال كذلك هدايا الله فهو أحقُّ أن تقبل منه هداياه قال تعالى: **(سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار)**(الرعد-٢٤) وإن النصر مع الصبر وإن مع العسر يسرا وبالجملة إن من قصد طريق الآخرة وأراد العبادة زادت عليه البلى وتكاثرت عليه المحن فيكون أشدُّ محنة من غيره وكلُّ من كان أقرب فمصائب الدنيا عليه أكثر والبلى عليه أشدُّ *قال صلى الله عليه وسلم: **أشدكم بلاء الأنبياء ثم الأولياء ثم الأمتل فالأمتل يبتلى الإنسان على حسب دينه فإن كان في دينه صلابة زيد في بلائه وإشتدت عليه البلى ولا تزال البلى بالعبد حتى يمشي على الأرض وليس عليه خطيئة*** (سنن

الترمذي ٢٤٠٠/٧) وما أكرم العبد على الله إلا وزاد البلاء عليه شدة فإن لم يصبر على ذلك وإلا لم يصل لمُراده ولا يستقم له طريق بل يشتغل عن العبادة بما أصابه من الهم والغم والحزن والفكر وذلك هو الخسران المبين ويفزع قلبه من خوف الله وعظمته وقال الفضيل من عزم على قطع الطريق فليجعل بين عينيه أربعة أبواب من الموت موت أبيض وموت أسود وموت أخضر وموت أحمر فالموت الأبيض الجوع والأسود ذم الناس له والأخضر وقائع البلايا بعضها على بعض والأحمر مخالفة النفس والشيطان له. منه الصبر على الطاعات بأن يكلفها كل عمل شاق يعسر عليها ارتكابه لعل ذلك يوصلها إلى مرادها ثم قال في المعنى:

نفس المحبّ على الأسقام صابرة لعل مسقمها يوماً يداويها

لا يعرف الشوق إلا من يكابده ولا الصبابة إلا من يُعانيها

الله أعلم أنّ النفس قد تلفت شوقاً إليك ولكني أهنيها

(ثانيها) الصبر على العزلة والخلوة والفرار من الخلق جملة كافية إلا من شيخه (ثالثها) الصبر على الحضور مع الحق وعدم التفرقة بالخواطر الموجبة للتشتت والتفرقة والخروج من الجمعية بالله وهو أعني هذا الصبر حقيقته التوقي عن ملاحظة الأغيار ورؤية الآثار ففي ذلك مرارة ومشقة شديدة في إبتداء الامر فينبغي للسالك المكابدة للصبر على ذلك حتى تزول الوحشة ويحصل الأنس فينقلب صبره لذة وكراهته رضاه وفرقته جمعاً وجمعه فرقاً وينطوي بساط الصبر وأنشد بعضهم في المعنى أبياتاً:

إذا جيش الأحباب جيشاً من الجفا بنينا من الصبر الجميل حصونا

وإن ركبوا خيل الصدود مغيرة أقمنا عليه للوصل كميناً

وإن جردوا أسيافهم لقتالنا لقيناهم بالذل مدرعينا

وإن لم يراعوا ودنا ووصالنا صبرنا على أحكامهم ورضينا

قال الجنيد رضى الله عنه تجرّع المرارة من غير تعبس ولا شكوى لأحد

صبرت ولم أطلع سواك على صبري وأخفيت ما بي منك عن موضع الصبر

مخافة أن يشكو ضميري صبابتي إلى دمعتي سراً فتجري ولم أدر

(الحادي عشر) الشكر وهو عند أهل التحقيق الإعراف بنعمة المنعم على الوجه المخصوص قال تعالى: (لئن شكرتم لأزيدنكم) (إبراهيم-٧) وحقيقه الشكر الثناء على المحسن بذكر إحسانه (الثاني عشر) القناعة وهي الاكتفاء بالموجود قال تعالى: (من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة) (النحل-٩٧) قال بعض المفسرين الحياة الطيبة في الدنيا القناعة ثم قال:

إقنع بما يأتيك وإستعمل الرضا فإنك لا تدري أتصبح أم تمسي

فليس الغنى من كثرة المال إنما يكون الغنى والفقر من قبل النفس

وقال ابن عمر الطمع فقر واليأس غنى وسئل بعضهم عن ما يُذهب العلم من قلوب العلماء بعد أن عقولهم وحفظهم قال يُذهبه الطمع وشهرة النفس وطلب الحاجات إلى الناس * وقال صلى الله عليه و سلم: **القناعة كنز لا يفنى** * وقال الترمذي القناعة رضى النفس بما قسم الله لها من الرزق ثم قال شعراً:

الرزق يأتي وإن لم يسع طالبه حتماً ولكن شقاء المرء مكتوب

وفي القناعة كنز لا نفاذ له وكلُّ ما يملك الإنسان مسلوب

(الثالث عشر) التوكل وهو الخروج عن الأسباب ثقة وتوكلاً بمسبب الأسباب بأن يكون بين يدي سيده كالميت بين يدي المغسل يقلبه كيف يشاء فلا يكون له حركة ولا تدبر لقوله

تعالى: (ومن يتوكل على الله فهو حسبه)(الطلاق-٣) وقال بعضهم قد يكون التوكل مع تعاطي الأسباب بشهود الحق تعالى في الحركات والتدبيرات فليس التوكل ترك الكسب ولا الكسب بل هو سكون القلب تحت مجاري أقداره تعالى مع شهود الله بالتأثيرات في أثر ما وعدم الخروج من حضرة المشاهدة في الأشياء قال تعالى: (ادخلوا عليهم الباب فإذا دخلتموه فإنكم غالبون وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين)(المائدة-٢٣) وقال تعالى: (وهزي إليك بجدع النخلة تساقط عليك رطباً جنياً)(مريم-٢٥) وقال تعالى: (فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه)(الملك-١٥) *وقال صلى الله عليه و سلم: **إعقلها وتوكل*** (سنن الترمذي ٢٥١٩/٧) فذكر التوكل مع السبب في كل من الآية والحديث ولأن التوكل محله القلب والحركة بالظاهر لا تنافي توكل القلب بعدما تحقق العبد إن التدبر من قبل الله عز وجل لا من قبل النفس وقال أبو علي الدقاق للمتوكل ثلاث درجات التوكل ثم التسليم ثم التفويض فالتوكل يسكن قلبه وتطمئن نفسه إلى وعد الله وصاحب التسليم ويكتفي بعلمه تعالى وصاحب التفويض يرضى بحكمه فهذه أصول الطريق وليس لك بدون هذه الأصول وصول ولا من غير هذا الباب دخول إلا أن يتكرم عليك مولاك بالقبول وأما مراتب الطريق فثلاث شرعية وطريقة وحقيقة فالشرعية ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم عن جبريل عن الله تعالى قال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل)(النساء-٢٩) *وقال صلى الله عليه و سلم: **والذي نفسي بيده لقد جئتكم به بيضاء نقيّة ، لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبوا به ، أو بباطل فتصدقوا به ، والذي نفسي بيده لو أن موسى كان حياً ما وسعته إلا أن يتبعني*** (مسند الإمام أحمد ٣/٣٨٧) تمسك بها أولو الألباب فنجوا ومشوا على كاهل الشريعة فحاصلها لك متاعك ولي متاعي بالأنعام والفضل لهم من الله وهي لعامة المسلمين تبين الحلال من الحرام ويقوم بها حدود الله ومن يتعدّ حدود الله فقد ظلم نفسه والطريقة إلى متاعك ولك متاعي قال تعالى: (إنما المؤمنون إخوة)(الحجرات-١٠) *وقال عليه الصلاة والسلام: **المؤمن أخو المؤمن لا يخذله ولا يحقره*** (مسلم ٢٥٨٠/١٦) أمرهم شورى بينهم فالطريقة قصده تعالى بالعلم والعمل وقال هي الأخذ بالتقوى وما يقربك إلى المولى من قطع

المنازل والمقامات والحقيقة هي الوصول إلى المقصود بالسرّ بالروح ومشاهدة نور التجلي وقيل أن يشهد بنور أودعه الله في سويداء قلبه يشهد بذلك النور إذ كل باطن له ظاهر وكل ظاهر له باطن وسر الوحدة في الكثرة والكثرة في الوحدة ومثل بعضهم الشريعة بالسفينة والطريقة بالبحر والحقيقة بالمعادن فمن ركب في السفينة عام في البحر ومن عام في البحر لا يخلو من إطلاعه على تلك المعادن فإذا ركب المرید سفينة شريعته وإستعمل أنواع مجاهدته وصار يهوى عشقه ورغبته في بحر فيض طريقته إغتتم جواهر حقيقته ومثل بعضهم ذلك باللوزة فالشريعة كالعشور والطريقة كالبلب والحقيقة كالدهن فلا وصول إلى الدهن إلا بعد معاناة اللب على نار المجاهدة ليظهر بها سر المشاهدة فالشريعة على حدود فمن تعدّاها أقيمت عليه الحدود والطريقة لها صدق وجهه معهود فمن تعدّاه حرم الورد والحقيقة لها شهود باطن في ظاهر هذا الوجود وخارج عن طور التفرق المعدود فإعلم أنّ الحقيقة نتيجة الطريقة والطريقة نتيجة الشريعة لأنك إذا إصطفيتَ يعني عملت بما هو أقرب إلى الورع والتقوى غير ملاحظ إلى الرخص من العلم والأعمال بل تأخذ من الأحوط ومن كل شيء أحسنه تظهر معها الطريقة وإذا إنتخبت الطريقة تظهر منا أسرار الحقيقة وسئل بعضهم عن حكم الشريعة والطريقة والحقيقة فقال إذا أكل الصائم بطل صومه في الشريعة وإذا إغتاب بطل صومه في الطريقة وإذا خطر بباله سوى الله بطل صومه في الحقيقة ولا يمكن الوقوف على أسرار الحقيقة إلا بإثبات الأعمال المبيّنة ببيان صاحب الشرع فإنّ كل طريقة تخالف الشريعة باطلة وكل حقيقة لا يشهد عليها الكتاب والسنة فهي إحاد وزندقة ومن زعم أن العبور من حجب الشريعة والوقوف على أسرار الطريقة ممّا يخالف الشريعة فقد غلبت عليه الضلالة والنسيان وإستهواه الشيطان في الأرض حيران حتى أوقعه في أودية الهجران وأسكنه في مسكن الخذلان والله در القائل شعراً حيث قال:

فمن زاغ لا أرض تقل ولا سما

على طرق الله سرنا إلى العلا

ومن زاغ مطروداً والله ما نما

ومن سار بالشروع لله صانه

وقال بعضهم الشريعة أن تعبد الله والطريقة أن تحضره وتخشاه والحقيقة أن تشهده وتراه فالشريعة تعلم ومجاهدة والطريقة حب ومصادقة والحقيقة مشاهدة ومعاينة ولا تباين بين الحقيقة والشريعة لتلازمهما معاً لأن الطريقة إلى الله تعالى لها ظاهر وباطن فظاهرها الشريعة وباطنها الحقيقة في الشريعة كبطون الزبد في اللبن والمعدن في الكنز فبدون خض اللبن لا يظهر الزبد والحفر بمثابة الطريقة والمراد من الشريعة والحقيقة إقامة العبودية والتحقق بها على الوجه المراد منك ولذا دعى الله حبيبه ليلة الإسراء بقوله (سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً)(الإسراء-١) قال ابن عطاء الله الحقيقة عين الحكمة والشريعة أمرها فمن خالف الأمر خالف العين (تنبيه) أعلم أنّ الحقيقة مبنية على أسرار خفية وإشارات عليّة ورموز عجيبة وألغاز غريبة قال تعالى: (هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهاً)(آل عمران-٧) الآية وقال تعالى: (وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيَعْلَمِ اللَّهُ) (البقرة-٢٨٢) وقال ابن عطاء الله من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يكن يعلم ولا يدري تلك الأمور إلّا من سار في طريقة الأبرار وصاحبهم وكشف له عن سرّ حقيقتهم وإستظلّ بظلّ ركبهم وترقى بالصدق والعشق في حبّهم فأدركوه المدارك وسلكوه المسالك لأن الطرائق عدد أنفاس الخلائق إلّا طريقتهم واحدة فإذا فهم تلك الأشائر ووردت عليه البشائر فإذا كتّم ما أطلعه الله عليه وأخفى ما ظهر من الأسرار لديه زاده الله من فضله الوافر وأمدّه بمدده السافر قال تعالى: في كتابه المجيد (لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد)(إبراهيم-٧) فشكر الأسرار صونها عن الأغيار لأنها ليس في كشفها لهم فائدة ومثاله كمثل من قدم لأهل القبور مائدة وأمرهم بالدعاء لها فالناس على ثلاثة أقسام منكر وهذا لا يجزىء معه الكلام بل الكلام في ذلك حرام والثاني عارف بالله وهذا لا يحتاج لأنه صاحب المقام والثالث جاهل محبٌ مرید مسلم معتقد وهذا هو الذي يُتكلم معه لبيان المرام * و عن ابن عباس قال يا رسول الله ما نسمع منك نحدث به كله قال نعم إلا أن تحدث قوما حديثاً لا تضبطه عقولهم فيكون على بعضهم فتنة * (لسان الميزان ٨٤٧) ففي قوله عليه الصلاة والسلام على بعضهم فتنة إشارة إلى المنكر فإنّ المسلم والعارف لا ينكران ذلك لشرفهم

على الأم وفي رواية عنه رضي الله عنه أنه قال إني لأعلم في قوله تعالى يتنزل الأمر بينهن علماً لو قلته لكفرتموني وفي قول أبي الدرداء لو قلت لكم كل ما أعلم لرميتموني بالقشح وفي قول سلمان الفارسي لو حدتكم بكل ما أعلم لقلتم رحم الله قاتل سلمان وفي روايه أبي هريرة أعطاني خليلي محمد صلى الله عليه وسلم جرابين من العلم الواحد بثنته لكم والآخر لو قلته لقطع مني هذا الحلقوم وفي قول كاتم الأسرار الإلهية علي بن أبي طالب إن بين جنبي علماً لو قلته لأزلتم هذه عن هذه وأشار برأسه عن جثته وإعلم بأن العلوم شتى فعلم مشروع وعلم مخبر وعلم مكتوم وفي قول الشريف الرضي حفيد علي بن أبي طالب قال في المعنى شعراً:

يا رب جوهر علم لو أبوح به لقل لي أنت ممن يعبد الوثنا

و لإستحل رجال مسلمون دمي يرون أقبح ما يأتونه حسنا

إني لأكتم من علمي جواهره كيما يمر بذئ جهل فتفتنا

وقد تقدّم من قبلي أبو حسن إلى الحسين وأوصى بعده الحسننا

إشارة إلى أنهم أطلعوا على أمور يجب كتمها عن الناس فكتموها وعلوم منحوها وطولبوا بتعظيمها فعظموها وقد قال القائل:

ولو أن أهل العلم صانوه صانهم ولو عظموه في النفوس لعظما

ولكن أهانوه فهانوا ودنسوا محياه بالأطماع حتى تجهما

أي أهل العلم اللدني الإلهي يجب عليهم تعظيمه وتعظيمه كتمه عن غير أهله فيتجاهل العارف بما تجاهل به الجاهل فيختفي العارف بالجهل فلا يعرف من الجهال وربما سأله عن أمر فلا يخبرهم به لكماله ورفعة مرتبته ونظره للحكمة السائرة لمخلصة فأبى من

الحكمة التي يجب كتمها عن غير أهلها فيجب على كل عالم يعلم من العلوم التي سرها مكتوم أن يخفيه عن غير أهله فإنه عند غيرهم موهوم لحديث حدثوا الناس بما يعرفون أتريدون أن يكذب الله ورسوله والحديث في علم الباطن سراً من أسرار الله وحكمة من حكم الله يقذفه في قلوب من شاء من عباده فكيف يجوز إفشاء سر الله لأنه ربما كان في إفشائه إفشاء سرّ الألوهية وإفشاؤه كفر عند أهل التحقيق فلا يبدي الأسرار إلا عند أهل الأفكار المغلوب عليه بالحال وهذا ناقص عن درجة الكمال قال الشافعي بن إدريس رضى الله عنه مشيراً لذلك المقام:

سأكتم علمي عن ذوي الجهل طاقتي ولا أنثر الدر النفيس على الرمم

فإن يسرّ الله الكريم بفضله وصادفت أهلاً للعلوم والحكم

جلست مفيداً وإستفدت ودادهم وإلا فمخزون لدي ومكتم

ولذا ترى بعض السالكين إذا غلبه الحال بذلك يبغض ما هنالك أنكرت عليه الأصحاب والخلان رموه بالزور والبهتان وترقوا منه إلى سب من ينسب إليه ومن يعول في ذلك المشرب عليه ثم يترقون إلى سب أهل ذلك الطريق ويستظلون على أحوال أولئك الفريق فربما أورتهم سوء الأدب إلى العطب فلذا أوجب الكتمان في مثل هذا الشأن وإن الأولى ترك التكلم ولو بين الأقران لما يخفي في ذلك من الدسائس النفسانية ولما في ذلك من المقامات العلية والأولى ما يشير للمنكر على أهل الأحوال قول من قال:

خاطب الناس بالذي أفوه وتجنّب خلاف ما أفوه

إن في الجاهلين عذراً عظيماً لو يرون التحقيق ما عرفوه

من نهاهم عن غيهم وهواهم ضربوه بالسوء أو أتلّفوه

فتجاهل مع الجهول وسلم لهمو في المحال مذ مدحوه

فإكتم الحق حيث لم يعرفوه

إن تكن مبصراً عند عمي

الباب الرابع فيما يتعلّق بالشيخ وشروطه وآدابه

فيما يتعلّق بالشيخ وشروطه وآدابه وبيان موضوعه وأحواله وبها يعلم من يصلح للإرشاد والسلوك والمشیخة ومن لا يصلح.

إعلم أنّ من كان متصدراً للإرشاد يشترط أن يكون له عقل يدلُّ به إلى الهداية وعلمٌ يرشد به المهتدين لأمر دينهم وإن لم يكن متبحراً فليكن له إطلاع بقدر ما يزيل به الشبه والتلبُّس التي تعرض بالمُرید في البداية من أو حال التوحيد وغيره ليغني مریده عن سؤال غيره عارفاً بكلِّ ما يرقى المرید أو يقطعه عن الترقى من سائر الأعمال الظاهرية والباطنية فإذا مرض مریده داواه وإذ حنث أفتاه وإفتقار ينفي به التدبر والإقتدار فيكون في إبتدائه قدری و إنتهائه جبري و قناعة تورثه الغنى وخوف يحجزه عن المعاصي ورجاء يسارع به إلى الخيرات وحسن خلق يدفع به الحمقة وشفقة تورثه الرفق وآداب في نفسه كثيرة منها الزهد في الدنيا والتقليل منها وعدم المبالاة بها وأهلها والسخاء والجود والكرم ومكارم الأخلاق وطلاقة الوجه وإجتئاب الخلاعة والضحك وملازمة الحلم والصبر والورع والخشوع والتواضع والتنزُّه عن دنيء الاكتساب وملازمة الوظائف التي جاءت بها السنة كقص الشارب وتقليم الأظافر وتسريح اللحية وبتف الإبط وحلق العانة والبخور وإزالة الروائح الكريهة وإجتئاب الملابس الضيقة وترك كل ما قيل فيه أنه بدعة ولو مباحة ولا يعجَّب ولا ينكَبِّر ولا يحتقر أحداً من المسلمين ويرى لكلِّ مسلم بركة ومن آدابه مع مریده أن ينزلهم منازلهم الكبير كبيراً والصغير صغيراً لخبر نزلوا الناس منازلهم فإنَّ لكلِّ إنسان مقاماً قال تعالى: (وما منا إلا له مقام معلوم)(الصفات-١٦٤) ويتألَّف كلاً منهم بما يراه مقرباً له في صحبته وإذا أعطى مریداً شيئاً أسر ذلك له وأوصاه بكتمه إما ببشرى أو شر يأتي أو بفتح أو بكشف أو بواقعه أو بمقام أحد من الإخوان وعليه الإخلاص في النصح وبذل الهمة في الإرشاد والتعليم فلا يخلو يوماً عن تعليم من معه أو من جلس معه وعليه بالعفة عن ما في

أبديهم ولا يكلفهم في حقه ما لا يطيقون ولا يرتب عليهم من الأعمال ما يسأمون ولا يكثر معهم الإنبساط ولا ينقبض عنهم كلَّ الانقباض ولا يضيق عليهم كل التضيق ولا يقرهم على ما يزري من الأحوال ولا يأكل بحضرتهم ولا يكثر مجالستهم وإذا طلبه أحدهم أن يذهب إلى بيته أو يأكل من طعامه ولو كان بحارته أو بقربه فلا يجيبه لئلا تسقط حرمة عندهم فلا ينتفعون به ويجيب من دعاه بالترفز والعفة ويزور غياً ليزداد حباً ففي كل سنة مرة أو نصف مرة أو سدس مرة وليلة واحدة ويكون في خطابهم على غاية التلطف فينادي أحدهم إن كان أكبر سناً منه يا سيدي فلان ويا عمي فلان وإن كان مساوياً يا أخي ويا حبيبي وإن كان مثل أولاده يا ولدي ويا خليلي ويحذر من السبِّ والشتم والطعن لئلا تنفر نفوسهم منه ولا يتميَّز عليهم فإن رضوا بخدمته لهم خدمهم من غير رياء ولا كبر وإذا دخل عليه المرید يبش في وجهه ومن قَبَلَ يَدَهُ قَبَلَ رَأْسَهُ وإذا صنع معه معروفاً كافأه وإذا أراد مریده الإنصراف دعا له من غير سؤاله وإذا دخل هو على مریده فيكون على أكمل الأحوال وأحسن الهيئات من نظافة الثوب وطيب الرائحة والمركب وإذا جلس عندهم فبالسكينة والوقار وتغطية الرأس ولا يكثر الالتفات ولا يعبت بلحيته ولا بشيء من ثيابه ولا ينام بحضرتهم ولا يمدُّ رجله في مجلسهم ولا يحدُّ نظره في أحد بل يكون خافض الطرف مسبل الأعين ولا يسرع لهم في الجواب وإذا كثر الكلام منهم صمت هو أو قام ويتفقد من غاب منهم بالسؤال عليه والبحث عن سبب إنقطاعه ثم إن كان مريضاً عاده أو في حاجة أعانه أو له عذر دعا له ولا يسيء خُلْفَهُ عليهم فإن لم يجد ملكه عند الغيظ فليقم من ذلك المجلس فإنهم في الحقيقة يعتقدون به الخير والحلم والعلم والعفو والمسامحة والأدب ويقتبسون منه ذلك وإذا حضر معهم في وظيفةٍ عملَ فيها بنشاط وقوة وهمة لتقوى همَّتْهم على ذلك ويقرر لهم العلم الوارد بالأخبار والآثار ولا يخرجهم عن دائرة العلم والأذكار والصلاة على النبي المختار مذ كان مجالسهم فإذا تقرَّر ذلك فأعلم أنَّه يجب على مرید الطريق أن يقصد عند إنابته وتوبته واستيقاظه من نوم غفلته شيخاً من أهل زمانه ببلدته أو بإقليمه معتقداً فيه الخير مؤتمناً على دينه واصلأ إلى الله خبيراً بالحال والمقال

والمنازل والأحوال مترقّباً مقامات الرّجال الكمّل الأخيار شرعيّاً حقيقيّاً سلوكه على الكتاب والسنة وذلك بعد تمام سيره إلى الله مع مصاحبة إذن شيخ له مرشد واصل إلى تلك المقامات العلية أذن له كذلك واصل أيضاً مسلسلاً إلى النبيّ صلّى الله عليه وسلّم إلى الله عزّ وجلّ بالضبط والحفظ ومعرفة الكل بالمقامات والثّرقي والإذن بالسلوك لا عن جهل ولا عن حظ نفس ولا شهرة أمر بل بموت النفوس دخلوا حضرة القدوس ومشاهدتهم للكثرة في الوحدة والوحدة في الكثرة فبالتعبير أن آخرهم مشاهد محقّق مثل أولهم فإن سألت كبيرهم عن أمر أجاك صغيرهم فكبيرهم مثل صغيرهم وعكسه لتحقّق الجميع بالمشاهدة قال تعالى: (فبهداهم إقتده) (الانعام-٩٠) وقال تعالى: (يا أيّها الذين آمنوا اتّقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة وجاهدوا في سبيله لعلّكم تُفلحون) (المائدة-٣٥) والعارفون بالله هم الوسائل فالشيخ الواصل وسيلة مريده إلى الله وبابه الذي يدخل منه على الله فهم أبواب الحق وقال أبو على الدقاق قدس الله سره الشجرة التي تنبت بنفسها من غير صاحب لا تعيش ولا تثمر وإن عاشت وأثمرت كان ثمرها من غير لذة وسنة الله جارية على أنواع من النسب وكما أنّ التوالد والتناسل الحقيقي لا يحصل إلّا بواسطة الوالد والوالدة كذا التوالد والنسل المعنوي حصوله بغير مرشد متعذر لحكمة ما جرت عادة الله به ومن ذلك أنّ أقطاب الأرض لم يخرجوا عن الوسائل فكان السيد البدوي مشاشي والدسوقي شاذلي قالت الأشياخ من لا شيخ له مرشد فمرشده الشيطان وقال بعضهم لولا المرّبّي ما عرفت ربّي ولقد أجاد أستاذنا السيد مصطفى البكري حيث قال:

لا تنزلن منازل الآسيادي	إن لم تكن تقصد لحي سعادي
يحميك من طرد ومن إبعادي	فإذا أردت فخذ أمامك سيّداً
وإعرف له حق المقام البادي	من بعد سر بفناء ظلّ ركابه
تصعد هلكت ولم تنل المرادي	إيّاك أن ترقى بلا درج فإن

الفوز أرض ذوي المكان الشادي

أو أن تسير بغير معرفة بأرض

هذي المليحة أين من يك صادي

هذي عروس أين من تجلى له

فإذا فعلت فضحت في الاشهادي

إيّاك دعوى الوصل قبل وصالها

أرض الخفا ومنازل الأفرادي

فالزم إلى حيّ السكون ميمما

فإذا ظفرت أيها الطالب الصادق بالشيخ المذكور والعارف بدقائق الطريق فشد عليه كلتا يديك فإن وجوده كالكبريت الأحمر لا يكاد يوجد لندرته فسلم نفسك لخدمته واجتنب الفحش لمخالفته وإجعل الصدق حالك والعمل منوالك والفناء في إختيار الشيخ فائدتك و رسمالك وترك الآثار والأغيار رأس مالك وكن بين يديه كالमित بين يدي الغاسل يقلبه كيف يشاء ليظهرك بماء الفيض من جنابة الاختيار والاقطار فيا سعادة من أحسن أدبه مع أستاذه لأن المشايخ العارفين الواصلين أبواب الحق والواسطة بين المرید وبين الله تعالى (تنبيه) قال الشيخ عبد الغني النابلسي في شرح ديوان سيدي عمر بن الفارض رحمه الله إختلف علماء المحققين أنه ليس من المتأخرين في الأكتفاء بالكتب عن المشايخ ثم كتبوا بالبلاد فكل أجاب على حسب فتحه وجملة الأجوبة دائرة على ثلاثة فشيخ التعليم تكفي عنه الكتب للبيب حاذق يعرف مدار العلوم وشيخ التربية تكفي عنه الصحبة لذي عاقل ناصح وشيخ الترقية يكفي عنه اللقاء والتبرك وأخذ كل من وجه واحد ثم الثاني بالنظر إلى حال الطالب فالبليد لا بد له من شيخ يُربيه والفظن للبيب تكفيه الكتب في التربية لكنه لا يسلم من رعونة نفسه وإلا وصل لإبتلائه برؤية نفسه (الثالث) النظر للمجاهدات فالتقوى لا تحتاج إلى شيخ في تمييز الأصلح منها وقد يكفي ذو الهمة بالكتب ومجاهدة الكثيف والترقية لا بد فيها من شيخ يرجع إليه في فتوحها كرجوعه صلى الله عليه وسلم للعرض على ورقة بن نوفل لعلمه بأخبار النبوة ومبادئ ظهورها فجاءه الحق وهذه الطريقة قريبة من الأولى والسنة معها والله أعلم.

الباب الخامس في آداب المرید مع شيخه

أعلم أنه لم يبلغ أحد إلى حالة شريفة ودرجة منيفة إلا بصحبة الأسيخ والإجتماع بهم والأخذ عنهم نفساً بنفَس وملاحظتهم وملازمة الأدب معهم ودوام خدمتهم ومن صحبهم على غير طريقة الاحترام حُرِم فوائدهم وبركات نظرهم قال سيد الطائفة الجنيد رضى الله عنه من حرم إحترام المشايخ إبتلاه الله بالمقت بين العباد نسأل الله العافية وقال بعضهم إنما حُرِم المریدون الوصول بتركهم الأصول وعدم الإقتداء بالمشايخ والسلوك بالهوى فطالت عليهم الطريق وربما مات أحدهم في أثنائها ولم يحصل له حاصل وقال بعضهم من جالس هذه الطائفة ثم لم يتأدب معهم سلب الله نور الايمان منه قال الشيخ الأكبر محي الدين بن العربي:

ما حرّمه الشيخ إلا حرّمه الله	فقم بها أدباً لله بالله
هم الأدلاء والقربى تؤديهم	على الدلالة تأييداً من الله
الوارثون همو للرسل أجمعهم	فما حديثهم إلا عن الله
كالأنبياء تراهم في محاربهم	لا يسألون من الله سوى الله
فإن بدا منهمو حال تولهم	عن الشريعة فإتركهم مع الله
لا تتبعهم ولا تسلك لهم أثراً	فإنهم ذاهلون العقل في الله
لا تقتدي بالذي زالت شريعته	عنه ولو جاء بالأنبياء عن الله

فآداب المرید مع الشيخ كثيرة ولنذكر لك نبذة منها أن لا يدخل عليه الا مطهراً ولا يطرق عليه باب خلوته إذا كان فيها بل يذكر الله جهراً فإذا سمعه وأراد الإجتماع به وأمره بالدخول دخل عليه والا إنصرف وأن لا يجلس في مكان حيث يراه وإذا دعاه سمعه وإذا جلس عنده أطرق رأسه وصمت بلسانه وقلبه فلا يتكلم بحضرته إلا جواباً وإذا تكلم خفض

صوته ولا يكتم شيئاً مما خطر له من محمود أو مذموم لكن لا يذكر من الخواطر الا ما دام وتكرر عليه ولا يذكره بحضرة الناس وأن يسلم لشيخه جميع ما يقوله له فلا يعترض عليه قطعاً ولو بالقلب فإن الشيخ ربما يكون رأى بالمرید شيئاً لا حقيقة له مكرراً به لسوء أدب وقع منه وهو لا يشعر ووقع لسیدی يوسف العجمي رضي الله عنه أنه إمتحن مریداً تفرس فيه لخبر فلم ينفر منه وكانت الفقراء عندهم غيرة منه لما رأوا تقديم الشيخ له فأراد أن يُعلّمهم بمرتبته وإنه يستحق ذلك دونهم فأمره أن يذهب لمكان ويأتي بالمرأة التي فيه ويأتي صحبتها بالجرّة فذهب ذلك المرید فوجد المرأة والجرّة فأخذ الشيخ المرأة و الجرّة ودخل مكاناً وأغلق الباب عليها ساعة فتغيّرت الفقراء كلهم إلا ذلك الشاب لم يتغيّر لذلك فقال الشيخ له بعد ذلك ما ترى فقال يا سيدي ما إتخذتك معصوماً من الوقوع في أقدار الله تعالى وإن سيئاتكم حسناتنا فلا تضر الاساءة مع الحب ولا تنفع الحسنة مع البغض وإنما صحبتك لأنك عارف بالله لتدليني على الله والطريق الموصل إليه لأنك أعرف بها مني قال له اذهب وبارك الله فيك وإعلم أنّ النفور لا يكون إلا من النفس وعدم المعرفة بالله لأن من عرف الله وأدب نفسه لا يكون له إعتراض على الله في فعله أبداً خصوصاً مع الأشياخ فيكون معهم كالنعال ومع غيرهم كالتراب لا قيمة له في حياة ولا جاه ولا مقام ***لخبر من ظن أن له قيمة عند الناس سقط من عين الله ومن ميز نفسه على فظهر صار الوجود يلعنه*** ومن آدابه أنه لا يأكل مع شيخه حتى يدعيه ولا يمشي أمامه إلا ليلاً أو لضرورة ولا يكتم عليه شيئاً من أحواله ولا يفعل منها إلا بمعرفته ويقوم لقيامه ويقبل عليه إذا جاء وإذا أراد أن يذهب إستشاره ولا ينام بحضرتة ولا يتشاءب و لا يتكبيء ولا يستند على شيء ولا يتربّع إلا أن يأمره ولا يأكل وهو ينظر إليه وإذا أمره بأمر إمتثله ولا يتأوّل كلام شيخه في أمره أو نهيه بل يحمله على ظاهره ويسعى فيما ندبه إليه وإن كان ظاهره مخالفاً لظاهر النقل فإن الشيخ أوسع إطلاعاً منه ومأخوذاً على الشيخ العهد بالنصح لكل مسلم وبتقدير أنه غلط يبارك للمريد في امتثال أمره أكثر مما يفعله المرید بهوى نفسه وفي قصة موسى والخضر في ذلك كفاية لكل معتبر فإنّ موسى لما أراد صحبه الخضر حفظ شروط الأدب فإستأذن

أولاً في الصحبة ثم شرط عليه الخضر عدم المعارضة في حكم فلما خالفه موسى وتجاوز الخضر عنه أول مرة والثانية فقال له في الثالثة التي هي حدُّ الكثرة هذا فراق بيني وبينك فكان موسى في مقام التعليم فإن الخضر كان في علوم الباطن أعلم من موسى بشهادة الله تعالى له. وتزكيتة مع شيخه أنه لا يلبس له ثوباً ولا يطاء له على سجادة ولا ينام على وسادته ولا يسبح بسبحته لا في غيبته ولا في حضوره وإذا وهب له شيخه قميصاً أو نعلأ أو رداء فليظهر توقير ذلك الشيء وليجتهد في نفسه أن يكون على أخلاق الشيخ من الأحوال والدين والنظافة الظاهرة والباطنة لئلا يُسيء الأدب مع ذلك الشيء الذي كان من ملبوس شيخه ولا يفعل معصية وهو لابسه ولا يعطيه لأحد غيره ولو أعطاه ما أعطى فربما يكون شيخه طوى له فيه سراً من أسرار الفقراء ممّا يُغنيه في الدارين ويقربّه إلى حضرة الله عزَّ وجلَّ وربما جمع له فيه جملة من أخلاق الرجال كما طوى رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي هريره ثوباً وضمَّه إليه فما نسي بعد ذلك شيئاً والأشياخ ليس فعلهم سدى لأن مقامهم يعلو عن اللعب ولا يمشي بنعل أعطاه له إلا في مواطن الفرح قال الشعراني في مدارج السالكين وقد وهب بعض الأشياخ لمريده رداء فرأى ذلك المرید قد بسط ذلك الرداء على رجليه فقال له يا ولدي إحتفظ الأدب مع أثر الفقراء وعظمه وقال في الكتاب المذكور قلت وقد رأيت شيخى رضى الله عنه يوماً وضعت رداء على رجلي فقال يا أخي إلزم الأدب مع من خالطته من ناطق أو صامت فإن الله عزَّ وجلَّ ما جعل الرداء للرجلين وإنما جعله للكتفين قال ووقع لي مرة إنني استحييت أن أمشي في حارته بنعل فخلعت نعلي ومشيت حافياً فأعجبه ذلك منى وقال لمن هو يجالسه يخفض صوت إذا كان هذا أدبه مع مخلوق لا يملك لنفسه ضرراً ولا نفعاً فكيف يكون مع الخالق وسراً بذلك رضى الله عنه وكان سيدي أبو السعود أبو العشائر شيخ السيد داوود الأعزب يقول المرید الصادق هو الذي لا يتعب شيخه فيه وكان يقول ليس المرید من يتشرّف بشيخه إنما المرید من شرف شيخه ومن آدابه أن لا يجلس قط بين يدي شيخه إلا وهو مستوقر كجلوس العبد بين يدي سيده ليحذر كل الحذر من الإكثار من مجالسته له فيهون عليه وتذهب حرمة من قلبه

فيحرم بركته ولا ينتفع به كما هو شأن نقباء الأسيخ فلا ينتفع به الخادم ولا الولد ولا الزوجة لإطلاعهم على مساوىء الشيخ ومن آدابه إذا قام من بين يديه لا يوليه ظهره بل يقوم مواجهاً له حتى يتوارى بجدار أو غير فإنَّ المرید لا يترقى إلا إن لزم حرمة الشيخ فإن تأدبه مع شيخه يرقيه إلى الأدب مع الله تعالى فمن لم يتأدب مع شيخه فهو في حضرة الدواب ومنها أنَّه إذا دخل مكان الشيخ ولم يره جلس متأدباً كأنه بين يديه وعليه إكرام أولاده وأصحابه وأصدقائه وعشيرته حتى ما لا يعقل في حياته وبعد مماته ويدخل السرور عليه ما أمكنه كتبليغ سلام محب أو ثناء معتقد إن قبل ذلك وإذا سمع من أحد شيئاً يُكره في حق أستاذه لا يبلغه إليه وعليه ردُّه ما إستطاع والجواب بالأجوبة الحسنة وإقامة الدليل والحجة إن قدرَ وإن لم يُرجع هذا المنكر لزمه البعد عنه وعدم مجالسته له وإذا شاوره شيخه في شيء ردَّه إليه فإنَّ ألحَّ عليه قال له لعلَّ الأمر كذا وكذا ورأيكم أتمَّ وأكمل وأن يكون شيخه عنده له الحظ الأوفر من المحبة والاعتقاد لا يوازيه أحدٌ من أهل عصره حتى ينتفع به وإعلم أنَّ عمدة الأدب مع الشيخ هو المحبة له فمن لم يبالغ في محبة شيخه بحيث يؤثره على جميع شهوات نفسه لا يفلح في الطريق وأجمع الأسيخ أنَّ شرط المحبة لشيخه أن يصمَّ أذنيه عن سماع كلام كل أحد يحطُّ في شيخه فلا يقبل عدل عادل حتى لو قام أهل مصر كلهم في صعيد واحد لم يقدرُوا أن ينفروه من شيخه ولو غاب عنه الطعام والشراب لإستغنى عنهما بالنظر إلى شيخه لتجليه في باله وبلغنا عن بعضهم أنه لما دخل هذا المقام سمن وعبل من نظره الى أستاذه قال سيدي عبد الوهاب الشعراني في كتابه قواعد الصوفية سمعت سيدي علياً الخواص يقول أطف ما في المحب ما وجدته في نفسك من العشق والشوق المفرط والعشق المطلق حتى منعك ذلك النوم ولذه الطعام ولا يدري ذلك الحب فيمن ولا يتعيَّن لك محبوب فإنَّ من ذلك تترقى إلى محبة الله عزَّ وجلَّ المطلقة قالوا من أصعب ما في الحب أن يصير المرید يحب الهجر من حيث كونه محبوباً لشيخه لا من حيثية أخرى لأن الحب للشيخ عمدة الوصلة لا الهجر فإفهم ومن آدابه أنَّه إذا حصل منه جناية على أحد بغير حق وجب عليه أن يقر بين يديه بالجناية على الفور ثم يسلم لما يحكم

به عليه شيخه من العقوبات للنفس على تلك الجناية من سفر بكلفة له أو خدمة شديدة أو جوع أو هجر أو نحو ذلك وأجمعوا أن لا يجوز للشيخ التجاوز عن زلات المرید لأن ذلك تضييع لحقوق الله وحقوق عباده ومن آدابه أن لا يفعل مع شيخه شيئاً يوحش قلبه منه فإن الله يغضب لغضب الشيخ و يرضى لرضاه كوالد الجسم بل أعظم لأن الشيخ لا يأمر المرید إلا بما أمر الله فمن خالفه فقد خالف الشارع وحرم ووقع في غضب الله تعالى بحسب تلك المعصية من كبيرة أو صغيرة فیا شقاوة من تغير قلب شيخه عليه وقتاً من الأوقات فلهذا كان غضبه أصعب من غضب والد الجسم وبه أن حقه مقدم على حق والد الجسم والله در القائل:

أقدم أستاذي على حق والدي وإن نالني من والدي العز والشرف

فذاك مربى القلب والقلب جوهر وهذا مربى الجسم والجسم من صدف

ويجب على المرید إذا لم يجد من يتأدب به في بلده ويعظم في عينه ويعتقده أن يسافر إلى من هو منصوب للإرشاد والسلوك والترقي في المقامات عدا من هو من أرباب الرياسات والإمارات والسائرات السائرين تحت الإرشادات وهم المطوعية ثم إن قابلك الشيخ المسلك بالجفاء إصبر لأن طريق الله عزيزة فربما فعل معك ذلك ليريك عزيزة الطريق لتدخل إليها بالتعظيم والتبجيل لأن الشيخ قد يمتحن المرید كما وقع لسيدي أبي السعود الجارحي مع الشيخ محي الدين اللقاني لما جاءه يطلب الطريق فقال الشيخ:

يظنُّ الناس بي خيراً وإنِّي أشرُّ الناس إن لم تعف عني

بنصب الناس وأشر ففارقه ساكتاً وقال هذا لا يعرف الفاعل من المفعول فرأى رؤيا تدل على مقام الشيخ فجاءه يقصها عليه فلما رآه الشيخ قال الصواب رفع الناس وخفض الناس فقال الشيخ محي الدين الله وأكبر فقال له الشيخ على كل مخالف كيف تطلب الطريق وتفرّ من نصبه وتأتي برفعه فتأب وإستغفر وقال القشيري يجب على كل من زار شيخاً أن يدخل

عليه بالحشمة والحرمة فضلاً عن الشيخ ثم إن أهله الشيخ لشيء من الخدمة عد ذلك من جزيل النعم وليحذر من أن يقيم ميزان عقله الجائر الناقص على من يدخل عليه من الأشياخ فربما مقتته ذلك الشيخ فلا يفلح أبداً بعد ذلك بل بعضهم تنصر ومات على دين النصرانية لأن من لم يتأدب مع الأشياخ سلب منه الإيمان وقد حكى عن سيدي محمد الشناوي أنه قال مما من الله علي به أني ما دخلت قط على شيخ أو جالسته إلا وميزان عقلي مكسورة وأرى نفسي تحت نعاله ولا أخرج من عنده إلا بمدد وفائدة ومن آدابه أنه لا يطلب من شيخه ردّ الجواب من رؤية رآها أو حادثة حدثت له بل يذكر حاجته ويسكت فإن أجابه شيخه كان وإلا قَبِلَ يده وإنصرف وأعرض بقلبه عن الجواب لئلا يصير شيخه محكوماً بالزام الجواب له وهذه طريق تخالف طريق الفقراء مواجيد يجدونها فإذا قال مرید أنا ما فهمت هذا الكلام يقول له الأستاذ أحسن مرآة قلبك تفهم ومنه قول الإمام الشافعي: شكوت إلى وكيع سوء حفطي الخ فعمل على طلب الجلاء لا غير وطريق الفقهاء أقوال ينقلونها فقط ومن قال من المريدين لشيخه لم على طريق الإستفهام لم يفلح قط في طريقهم ومن قال من الفقهاء لشيخه لم كان الأمر كذا فلح فلكلّ طريق طالب يناسبها. ويلازم مطالعة تأليف شيخه ويقدمها على غيرها من الكتب ولا يعدل عنها إلا لضرورة طلب ما هو أبسط منها أو كتاب أحال هو في تأليفه عليه ولكن لا بدّ من إستئذانه والوقوف عند أمره ولا يطلب علماً على أحد وشيخه يعرف ذلك العلم فإن لم يعرف أو كان غير متصدر للتعليم شاوره على من يقرأ عليه فإن أشار عليه لأحد لزمه على أي حالة كانت وإن قال له إقرأ على من شئت فيختار لنفسه العالم العامل الصالح المنكسر الحليم المتواضع المعتقد في طريق القوم ويكون طلب علمه بعد سلوكه في الطريق لا قبل فإنك إذا وضعت العسل في قشر الحنظل تمرّمر بمرارته والتبس على الجاهل أن العسل من أصله مر وكان السلف الصالح إذا قدم لهم إنسان بدوّه بالطريق وتعلم أخلاق الفقراء ثم يتعلم العلم ومنها إن سأل شيخه على مسألة فلم يردّ عليه جواباً فلا يعيد عليه السؤال في ذلك الوقت بل يسكت إلى وقت آخر ويرغب في الاجتماع عليه ويؤلف القلوب اليه ولكن إن أمره الشيخ أن يجانب أحداً من أصدقائه أو غيرهم وجب

إجتنابه ولا يغترُّ هو بإظهار شيخه محبة ذلك الطريق لأن من شأن الشيخ الإقبال على كلِّ الناس حتى لا يصير له عدوٌّ قط إلا من المجرمين الجهال لسعة ما هو عليه من الأخلاق المحمدية وإذا أقامه الشيخ في خدمة الفقراء سفيراً أو حضراً دون أن يجلس مجالس الذكر والعلم لا يتكدر من ذلك فإنَّ الشيخ إنَّما يستعمله فيما يراه خيراً له من سائر الوجوه كلها ومتى تكدر المرید من تلك الإقامة أو رأى أن إشغاله بغير ذلك أفضل فقد نقض عهد شيخه فإنَّ الشيخ أمين من جهة رسول الله صلى الله عليه وسلم على أمته بأن يفعل بهم ما يرى فيهم أنه يقدمهم وينهاهم عن ما يؤخرهم في المقامات فقد يكون ما يطلبه المریدون يورث عُجباً ورياءً وشهرةً ومدحاً بين الناس فيحشر مع الخاسرين وروي عن بعضهم أن شيخه أمره بخدمة البغل في الإسطبل حتى دنت وفاة الشيخ فتطاول أكابر أصحابه للإذن لهم بالخلافة بعده قال الشيخ إئتوني بفلان فأتوه من الإسطبل ففرش له سجادة فقال له تكلم مع إخوانك في الطريق فأبدى لهم العجائب والغرائب نظماً ونثراً وسجعاً حتى إنبهرت عقول الحاضرين فرجع الذين كانوا يتطاولون للإذن وتعجبوا من ذلك وكان هو الخليفة بعد الشيخ فتعلم أنَّ الأمور التي يقع فيها النفع راجعة إلى الشيخ لا إلى المرید ومن آدابه أن يكون فطناً لما يأمره به الشيخ أو ينهاه لا سيَّما بحضرة من ليس من القوم بل يفهم بالإشارة والرمز بأن لا يقنع بمجرد إعتقاده في أستاذه ويتساهل فيما يأمره به أو ينهاه عنه ويقول نظر سيدي يكفي فإنَّ ذلك جهل في الطريق وقد قال بعض الصحابة لرسول الله صلى الله عليه وسلم أسألك مرافقتك في الجنة *فقال صلى الله عليه وسلم: أعني على نفسك بكثرة السجود* فلم يجبه صلى الله عليه وسلم إلا بالعمل لا بإتكال على دونك *وفي الخبر من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه* (م ٢٦٩٩/١٧ عن أبي هريرة) وكان سيدي علي وفا يقول لا تطلب من شيخك أن يمنحك العلم والأسرار والثَّرقي وأنت لم تطهر من الخبث وأعمال الفجار فإنك إذا وضعت العسل كما مرَّ في قشر الحنظل تمرر بمرارته والتبس على الجاهل أن العسل من أصله مر ومن آدابه أن لا يتساهل بهجر شيخه له فقد قال أهل الطريق كل مرید هجره أستاذه فلم يتأثر من ذلك ولم يشق عليه ولم يبادر لتطيب خاطره مقتته الله ومكر به وطرده

عن بابه وقال بعضهم كل مرید خاف أحداً من الخلق مع وجود حب أستاذه فهو كذاب في إسناده إلى الشيخ لأن المرید مع شيخه كولد اللبوة في حجرها أتراها تاركة ولدها لمن يريد إغتياله لا والله وقال بعضهم إذا صحت نسبتك من شيخك وهي حبك فيه والعمل بمقتضى أمره كان تأثيره بالإمداد فيك أعظم من تأثير أذكارك وجميع أعمالك وقال بعضهم لا تطالبوا الشيخ بأن يكون خاطره معكم بل طالبوا أنفسكم بأن يكون الشيخ في خاطرهم فعلى مقدار ما يكون الشيخ عندكم تكونون عنده لأن همته مقرونة إلى حضرة الحق لا إليكم فالمرید هو الذي يتعلّق به ويبتغي لك أن لا تفارق شيخك ولا خدمته حتى تعاین الطريق حالاً وقالوا وعلماً وتكثر من شكر الله الذي جمعك عليه فإن كل مرید لم يصادف رجلاً يربيه يخرج من الدنيا وهو ملوث بالذنوب ولو عبد الله عبادة الثقلين لأن الشيخ يخرج من الضيق إلى السعة ومن الظلمة إلى النور ومن الجهل إلى العلم ومن آدابه أن يرى كل خير أصابه من الله كرامة وبركة لشيخه ورسوله فإن نور كل مرید من نور شيخه وما تراه أيها المرید فيك من السر والمدد فهو من فيض استاذك وجميع ما تراه من النقص والفواحش فهو من صفاتك فإن رأيت شيخك زنديقاً في عينك فأنت زنديق وإن رأيت صديقاً في عينك فأنت صديق في علم الله وأماً حقيقة الشيخ فلا يعرفها إلا من أشرف على مقامه أو كان أعلى مقاماً منه فإن شيخك مرآة وجودك التي تصلح بها نفسك فالمرید حينئذ أن تُجلى له طويته بصفات أهل الصلاح والولاية فإذا كشف لبصيرته عن قلب أستاذه رأى المرید صورة إصلاحه وولايته في صفاء مرآة أستاذه فيظنُّ أن أستاذه هو الصالح الولي فيستمدُّ من بركات ملاحظاته المتوالية وهممه العالية ثم لا يزال يطلب من أستاذه الدعوات المنبوعة والخواطر الشريفة ويتودّد إليه تودّد المستأنس حتى ينفخ اسرافيل العناية في صورة قلبه روح التخصيص الأدمى فهناك يشهد أستاذه هو آدمي الزمان وملك أزمنة الأزمان يحكم الإرث لصاحب هذا المقام فيعظمه تعظيم الشاب لأبيه المهاب ومن آدابه أن يصير تحت مناقشة شيخه له ومخالفته لأغراضه فإن ذلك دليل على أن الشيخ شَمَّ منه رائحة الصدق ولولا شَمَّ منه ذلك ما ناقشه وكان عامله معاملة الأجانب من الملاطفة والترحيب والتأليف

بل يثبت هذا المرید علی مناقشه شیخه فإنّ طریق الله لا تكون إلا بعد أن يموت مریدها کذا کذا الف مودة فإنّ کلّ مخالفة للهوی موته والأهویة لا تنحصر ومن آدابه أن لا یبدأ شیخه بالسؤال عن شیء مطلقاً لا لضرورة كأن یسأله عن بیان شیء من الأحكام للشرعیة أو رؤیا أو واقعة وبیان ذلك أنه إذا بدأ شیخه بالسؤال فقد أحوجه إلى ردّ الجواب فیورث المرید زهواً وعجباً علی الإخوان ولا یغتر بحلاوة کلام الشیخ له ویظنُّ أنه صار عنده فی أعلى مقام فإن من سیاسة الداعی الی الله أن یؤلف الضعفاء بالكلام الحلو والإحسان وتخفیف الأوامر فإذا رسخوا فی الطریق فله التحکّم فیهم کیف شاء فیزجرهم بمر الکلام ویمنعهم من لذیذ الطعام والنمّام من إشارة قوله تعالی: **(فلا وربک لا یؤمنون حتی یحکموک فیما شجر بینهم ثم لا یجدوا فی أنفسهم حرجاً مما قضیت ویسلموا تسلیماً)** (النساء-٦٥) ویحذر المرید من مجالسة شیخه علی الدوام وإذا سأله أستاذة عن شیء من أحواله الباطنة أجابه علی الفور من غیر نکر فإنّ الشیخ إنّما یرید أن یعلم مقامه ومن أعظم ما یقع للمرید فیهِ من سوء الأدب عدم حضور مجلس الذکر فلیذکر للشیخ سببه فإن ظهر له صدق عذره قبله والا ناقشه وبیّن له عدم صدقه لیتوب ومن علامة صدقه الندم علی فوات ذلك المجلس حتی تضیق علیه الدنیا بما رحبت ویترک عشاءه وغدائه من شدة الأسف کالذی مات له ولد عزیز ولا یزال فی تشویش حتی یرضی عنه شیخه وأقبح ما یرى من الناس الذین یسمعون مجالس الذکر فی بیوتهم ولا یحضرونها وینبغی أن یوبخ نفسه بحضرة إخوانه ویقول یا فوزکم حضرتّم لمجلس الذکر وجالستم ربکم وذاکرتموه ویا شقائی حیث حرمت ذلك لأن ذکر الله ومجالسته لا یعدّلها شیء ومن آدابه أن یتجرّد بالکلیة إلى خدمة شیخه إذا سافر معه ولا یفارقه طرفة عین إلا لضرورة ویتعفف من أطعمة الناس الذین یعزمون علی الشیخ ولا یأکل فی السفر إلا سدّ الرمق لأن ذلك نافع له من وجوه کثیرة منها قلّة حاجته للبول والغائط والریح لا سیّما فی السفینة والطریق القلیل الماء وإذا نام الفقراء فلیکن نقیبهم سهران لا ینام وإن تناوب النوم بالنوبة فلا بأس وإذا أراد الشیخ بعض المریدین للسفر أو منعه من الذهاب لیبیت من عزم علیه لا یتکدر بل یفرح لكون

الشيخ إعتنى به دون إخوانه وميَّزه عنهم لأن ذلك دليل على أن الشيخ غير غافل عن تربيته وكذا لو مشاه طول الطريق وأركب غيره لا يتكدر بل يفرح ويمشي في ركابه ويفوز بخدمته وكل هذه الأمور إذا فرح بها رفته إلى مراقي الكمال والله غني حميد ومن آدابه أن لا يفشي سر شيخه ولو نشر بالمناشير ولا يجوز المريـد أن يتجسس على مقدار نوم شيخه أو أكله أو كم يتوضأ في اليوم والليلة مرات أو هل يأتي النساء كثيراً أو قليلاً فكل ذلك من عقوق الوالدين وكشف لسواتهم والعاق لا يرفع له إلى السماء عمل وربما كان إطلاع ذلك المريـد على تلك الأحوال ينقص مقام شيخه في قلبه لجهله بأحوال الكمل فيهلك كما مرّ وينبغي أن لا يسافر إلاً بإذنه مطلقاً ولو لسفر الحج لكن لا يخفى أن سفر الحج هو المحتاج للأذن لا نفس الحج ومن آدابه أن لا يتزوج امرأة طلقها شيخه أو مات عنها وإذا حصل منه هفوة في حضرة شيخه رجع وتاب ولو تغافل عنها الشيخ خصوصاً. ودأب المشايخ الأغضاء عن بعض هفوات من المريـد سيما إذا كان قريب عهد بإجتماعه عليه يريد بذلك تأليفه وإذا أمره بخدمة أحد خدمه وقبّل يده ولو كان أنفـس قدراً منه فيما يزعم وإذا منعه شيخه شيئاً من المباح إمتثله لأن الشيخ إنما قصده للمريـد الترقى والمباح لا يترقى فيه ولا ثواب ولا عقاب والمباحات ليس فيها سبيل للمريـد جملة واحدة بخلاف الأشيـاخ لأنهم في مرتبة ورثة الشارع وقد كان صلى الله عليه وسلم يأتي المباح توسعاً على أمته وكذا المشايخ يأتون ذلك توسعة على مريديهم لو وقعوا فيه وذلك لأن فعل المباح تنفيس للنفس من مشقة التكاليف والمريـد الصادق لا يملُ من العبادة إلاً نادراً نحو كل شهر مرة بخلاف المريـد الكاذب فإنه غالب أوقاته في المباح وإعلم أن كل مريـد متى إحتجّ على شيخه بأقوال العلماء أو إعتلّ عليه بكتاب أو سنة في جواز فعل المباح أو غيره لم يفلح أبداً كما إذا رآه شيخه يجمع دراهم لنائبات الدهر مثلاً فنهاه عن ذلك فقال الشارع جُوزَ ذلك فهذا في طريق وشيخه في طريق وإنّ الشيخ أعلم بالمريـد من نفسه كالبيطار في أمور الدواب أعرف بأمراضها من أصحابها ونفس المريـد الضعيف لا تميل إلاً للرخص فتتفر ضرورية ممن يأمرها بما يشق عليها و من الدسائس التي تدخل على المريـد أن يطلب من شيخه دليلاً على

قوله فإن فعل ذلك فقد نقض عهده الذي بايعه عليه وهو العمل بكل ما قاله بباديء الرأي فإذا بين له الدليل فالمرید إنما عمل بالدليل لا يقول شيخه ومن هنا طلب الغزالي من يسلكه ولم يكتف بمعرفته فالذي ينبغي للشيخ إذا رأى نفس المرید قويت عليه في الاستدلال والمجادلة معه أن يطرده لكن بحسن عبارة كأن يقول له يا أخي قد صرت بحمد الله من أهل الطريق وأهل العلم فاستفد على من هو أعلم مني أنفع لك لأن الشيخ إذا ترك مثل هذا مقيماً عنده أفسد عليه بقية أصحابه فإن كان به خير رجع وتاب واستغفر وإلا فقد إستراح الفقراء منه ومن آدابه إذا أراد حضوره مع الشيخ أن يلبس أحسن ثيابه لأن حضرة الشيخ ملحقة بحضرة الله وينبغي قبل أن يحضر عنده أن يتوب من كل ذنب جناه قديماً أو جديداً ليدخل حضرة شيخه على طهارة كاملة وإذا كان محله بعيداً عن الشيخ لا يجتمع عليه إلا بنية الزيارة دون غيرها وبالجملة فأقل ما يلزم المرید من الأدب مع شيخه أعظم ما يلزمك مع ملوك الدنيا فمن لم يعرف الأدب مع ملوك الدنيا لم يعرف الأدب مع الشيخ فالمشايع باب المرید ومن آدابه ومن أهم الأمور أن لا يزور أحداً من المشايخ الأحياء والأموات إلا بإذن شيخه ولو كان ذلك الشيخ صديقاً لشيخه وكذا لا يزور أحداً من المشايخ من جماعة غير شيخه ولا يزيده على قوله السلام عليكم وذلك لأن المرید ضيق لا يسع طريق غير شيخه ومن شأن كل ضعيف من المریدين أن يمدح شيخه وطريقته فقط وينقص غير طريق شيخه أو يسكت عنها وربما يكلمون بعضهم بعضاً في الطريق فيتجادلون فيقع بينهم الضغائن وإعلم أن منعهم من الزيارة واجب على الشيخ ما داموا لم يبلغوا درجة الكمال من الرجال فإذا علم من المرید أنه بلغ الغاية في الترقى وأشرف على الأم التي تفرعت منها كل طريق ورأى الطرق كلها تدور وتجمع في بحر واحد فهناك له الزيارة للناس قال سيدي محي الدين بن العربي كم أفسدت الزيارة ناساً وذلك لأن الشيخ إنما يأتي مریده من الباب الذي يخالف هوى نفسه فربما زار بعض المریدين غير شيخه فوجده قد أمر تلميذه بما نهاه عنه شيخه فتميل نفسه إلى ذلك الشيخ فيسقط الشيخ الأول الذي هو شيخه من قلبه وإذا سقط من قلبه وصحبه بعد ذلك ولو نفساً واحداً فقد نافق ونقض العهد مع الله عز وجل من أنه لا

يميل لأحد غير شيخه وإياك ثم إياك أن تظن أن شيخك إنما نهاك عن زيارة غيره حباً للرياسة والحسد لأقرانه بكثرة المريدين كما تظن ذلك ضعفاء المريدين ومن لا علم له بالطريق فإن ذلك من سوء الظن وهو نقض العهد الذي بينك وبينه ولا تحمل حالك على حاله فتحكم بالمساواة فتخرج إلى حد الخيانة والقطيعة فلو كان حال شيخك مثل حالك ما كان شيخك فإفهم وإعكف على شيخك وحده وعلى جماعته وإن طردوك فلازم الباب فإن طردوك عنه فإبعد يسيراً ولا تفارقه فإنك لا تفلح على يد أحد غيره ابداً كما جرب وإذا طردك وأراد الله بك خيراً جمعك على من يحب شيخك لحبه لك ويشوقك إليه ويقوي عزمك على الرجوع إليه وينبغي للمريد إذا أسقط حرمة أستاذه أن يخبره بذلك ليذاويه من هذا المرض العظيم إما بطرده عن صحبتته وإما بإستعمال ما يزيل عنه الحجب التي طرأت عليه بواسطة وقوعه في معصية أو نحوها وإذا طرده فليكن ذلك بالقلب دون اللفظ إلا بسياسة تامة فإن المنكر على الشيخ من أكبر الأعداء وليس للشيخ أن يتحملة خوفاً من إفساد الفقراء وأكثر ما يقع هذا المرض في قلوب الذين يكثرون من مجالسة الشيخ ولذا قالوا لا بد للشيخ من ثلاثة مجالس للامة ومجلس للخاصة ومجلس يعاتب فيه كل مريد على إنفراد ثم لا يجالس كل نوع إلا غيباً يوماً بعد يوم أو بعد أيام مصلحة للمريد لا تكبراً وقياماً للناموس الطبيعي وشروطه في العامة أن لا يترك أحداً من المريدين يحضر معهم فيه ومتى سامحهم في الحضور فقد غشهم ويكون مجلس العامة في ذكر ما يعينهم على الصلاة والصوم والصدقة وبيان ثمره ذلك ولا يخرج بهم إلى ذكر شيء من الأحوال والكرامات وما كان عليه الأكابر لأنهم لا يقدرون على المشي عليه وشروطه في مجلس الخاصة أن لا يخرج عن نتائج الأذكار والخلوات والرياضة وبيان الطريق الموصل إلى الله وشروطه في مجلس الانفراد مع الواحد من أصحابه زجره وتقريعه وتوبيخه وتصغير أعماله الصالحة في عينه ويقول حالك ناقص عن مقام الصادقين وينهاه عن دناءة همته ومن آدابه أن يحذر من العجلة فلا يبادر لفعل ما أمر به حتى يكون يعلم شرط صحة ذلك الأمر كما أنه لا يدخل الصلاة إلا بعد معرفة شروطها قالوا وإذا أرسله شيخه في حاجته وكان مكاناً بعيداً فمن

الأدب لا يطلب له شيئاً يركبه إلا إذا كان عاجزاً عن المشي عادة وكذا لا يطلب للحاجة محملاً إلا إن عجز عن حملها فإن أقلّ المراتب للأدب مع الشيخ أن يكون الحكم معه في تلك الحاجة كحاجة نفسه وزوجته وأولاده إذا بكوا عليه وطلبوها منه فإن مراعاة خاطر شيخه مقدم على مراعاة زوجته وأولاده فقد كان سيدي محمد الشناوي يرسله شيخه إلى طنطا للحاجة ماشياً يذهب ويأتيه بها وبعضهم يرسله بقفص الفراخ على رأسه ماشياً إلى مصر فرضي الله عن أهل المروءات وإقامته وخدمته شيخه ساعة أفضل من خمسين حجة على الجهل بآداب الحج وشروطه ومن آدابه أن لا يكلف شيخه قط المشي ليسلم عليه إذا قدم من سفره أو ليعوده إذا مرض أو ليعزيه في موت أحد بل يذهب هو إلى شيخه فيسلم عليه ويعزيه ومتى تغير قلبه من شيخه إذا لم يأتته فقد أساء الأدب معه فيجب عليه تجديد العهد وينبغي أن يكون معه بالإذن باطناً كما هو معه ظاهراً ولا يتكلم في حق شيخه كلمة من ورائه يستحي أن يقولها في وجهه فإن ذلك أكبر خيانة يقع فيها المرید كأن يقول هل كان شيخي يقع في المعاصي قبل دخوله في الطريق أو كان يجامع زوجته في كل ليلة فذاك من فضول الكلام ويلزم أن يعتقد أن كل ذرة من أعمال شيخه أفضل من عبادته ألف سنة قال أبو سعيد الجزار رياء العارفين من إخلاص المریدين ومن آدابه إذا جلس مع شيخه أن يلزم السكوت ولا يتلفظ بحضرتة إلا إذا وجد إمارة على إذن الشيخ له في الكلام وآداب المرید كثيرة وفي هذا القدر كفاية ومن عمل بالقليل جره ذلك إلى العمل الكثير.

الباب السادس في آداب المرید مع إخوانه

إعلم أن المرید لا يجب عليه التخلُّق بجميع آدابه مع إخوانه لأنه مشغول بحق الله عن حقوقهم فلا يقدر على الجمع بين حق الله وحق عباده وإنما يؤمر ببعض أخلاق منها في طريق الخلطة والمجاورة فما هو في طريق العشرة ثم إذا إنتهى سيره وبلغ مبلغ الرجال فهنا لا يطالب بالتخلُّق بأخلاق الكمل كلها وإيضاح ذلك أن الأخلاق المحمدية لا تخلع على أحد إلا إذا دخل حضرة الله تعالى الخاصة التي يدخلها السالك عند كمال سلوكه في العادة

وتلك الحضرة يحرم دخولها على من بقيت فيه بقية من روعات النفس بدليل عدم صحة الوضوء لمن ترك لمعة من أعضاء الطهارة لم يصبها ماء ثم إذا استقرَّ في تلك الحضرة خلَّع عليه من الأخلاق المحمدية ما قُسم له فيرجع متخلِّقاً بها كلفة عليه في ذلك وأمر أن يعطي كل ذي حق حقه على الكمال من والد وزوجة وولد وصاحب وجار ونحوهم ولو أمر في بدايته بذلك لما قدر على السير في الطريق لضعفه على الجمع بين حق الله وحق عباده وإذا علمت ذلك فمن آداب المريـد مع إخوانه أن يكون محباً لهم جميعاً كبيرهم وصغيرهم ويكون ذلك لله تعالى وأن لا ينظر لهم إلى عورة ظهرت ولا إلى زلة سبقت إذ هو لا يأمن من الوقوع في مثلها فإذا وقع في مثلها يجب من إخوانه أن يرحموه ويعتذروا عنه ويقولوا بأنَّ إبليس هو الذي أوقعه بإرادة الله وأنه أوقع من هو أعظم منه فلذلك ينبغي له أن يعاملهم بعدم الإزدراء وإقامة العذر وقد أجمعوا أنَّ كلَّ فقيرٍ إطلع على شيء من عيوب الناس ولو من طريق الكشف فهو في حضرة الشيطان لا في حضرة الرحمن ولا في حضرة ملائكته وكل كشف إطلع صاحبه على شيء من عيوب الناس فهو كشف شيطاني يجب عليك التوبة منه فالواجب عليه أن لا يتعدَّى النظر إلى عورة نفسه لسترها وأمَّا عورة غيره فإن قدر على سترها سترها وإلاَّ غضَّ النظر عنها فلا يطلع على عورات المسلمين إلاَّ الشياطين فمن تعرَّض للوقوع في ذلك فقد تعرَّض في حق شيخه فإن شيخه ربما كان له صبوة قبل دخوله في الطريق كما هو الغالب عن أكابر الطريق فقد كان الفضيلي من أكبر قطاع الطريق وكان الشبلي والياً بالبصرة *وفي الحديث من تتبع عورات المؤمنين تتب الله عورته ومن تتب الله عورته فضحه ولو في جوف رحله* (ت ٢٠٣٣/٦) فمن لم يستر إخوانه في جميع ما يراه من عوراتهم فإذا بلغه شيء عنهم كذب الناقل وإن أبى التكذيب فيعمل المنقول عنه فتقام عليه حدود الله ثم يخرجوه من الفقراء لئلا يفعل غيره ذلك والواجب على كلِّ أن يفرَّ من مواطن التهم فمن سلك في مسالك التهم فلا يلومن من أساء الظنَّ به فيجب عليه أن يفرَّ من الأمرد الشاب والنساء ما أمكن ومنها أن لا يعود نفسه التخصيص بما فتح الله به عليه بالحلال ولو كانت خياره فإن من آثر نفسه على إخوانه في الشهوات لم يفلح أبداً

وما صار الناس رؤوساً في الطريق إلا لكرمهم وإيثارهم وسلامة صدورهم من الحقد والحسد والضغائن وأن المرید متى إدخّر نصفاً واحداً على إسم حوائجه المستقبلية مع حاجة أحد من إخوانه إليه خرج من وظيفة الفقراء والكلام في الحال أمّا ما فيه شبهة فلا يمسكه بحال ومتى ترخص في الادخار تربى عنده الحرص والبخل فيحتاج بعد ذلك إلى علاج شديد ومن شك فليجرب وما إتخذ الله من ولي بخيل ومن آدابه أن يكون عنده شفقه على دين إخوانه ويحب لهم من الخير مثل ما يحب لنفسه فينبههم على الوضوء قبل الوقت ليدخل وقت الصلاة وهم على أهبة فلا تفوتهم تكبيرة الإحرام مع الإمام أو فوت السنة الراتبة قبل الفريضة كما عليه الموسوسون ويقولون الوقت متسع وكثير ما تفوت أحدهم صلاة الجماعة كلها وكان السلف إذا فاتته صلاة الجماعة يعيدها سبعاً وعشرين مرة مجاهداً لنفسه وإن كان جمهور العلماء على المنع من ذلك ومن السلف الإمام المزني صاحب الشافعي كان يعيدها خمساً وعشرين مرة إذا فاتته الجمعة وأن ينبه إخوانه في الأسحار ويكون ذلك برفق ويرى أن نومهم خيراً من عبادته هو لئلا يغتر بحاله فمن رأى نفسه مساوياً لجليسه فمدده واقف لا يجري عليه أو على من جالسه فلا يصعد إليه ذرة من مدده فلا يغتر بحالة و لا يطلب الرياسة قبل حينها فيتأخر إلى وراء لأن كلّ جليس إذا رأى نفسه خيراً من أصحابه فقد فسق في طريق القوم ولعن كما لعن إبليس بسبب قوله أنا خير منه وقال بعضهم لا يصير الفقير فقيراً حتى تصير نفسه دون كل جليس من المسلمين فإذا صار كذلك صار الوجود كله يمدّه كما أنّ الذي يرى نفسه خيراً من جليسه المسلم يصير كل الوجود يلعنه ومن وصية السيد أحمد الرفاعي لأصحابه وهو مستحضر من تمشيخ عليكم فتتلمذوا له فإن مدّ لكم يده لتقبلوها فقبلوا رجليه وكونوا آخر شعرة من الذنب ولا تكونوا رؤوساً فإنّ أول ضربة تقع في الرأس وقال له يعقوب الخادم يا سيدي أوصني فقال له كن خادماً لإخوانك مؤثراً على نفسك متحملاً أذاهم بعد ذلك واحذر أن ترى نفسك أعلى منهم فتقع في حفرة لا يساعدك منهم أحد ثم قال يعقوب أنظر الى النخلة لما قامت بصدرها وتعالّت على جيرانها جعل الله حملها فوق رأسها ولو حملت مهما حملت لم يساعدها أحد

وإنظر إلى شجرة اليقطين لما وضعت خدها في التراب وتواضعت جعل الله حملها على غيرها ولو حملت مهما حملت لا تحسُّ بثقله *قال صلى الله عليه وسلم: من تواضع لله رفعه ومن تكبر وضعه* (م ٢٥٨٨/١٦) وقد أمرك الله ورسوله بالتواضع لعباده فليكن تواضعك إمتثالاً لأمره فتأمل يا أخي وإعتبر إنَّ في ذلك لعبرة لأولي الألباب ومنها أن لا يزاحم على إمامة لما في ذلك من تحمل سهو المأمومين مع ضعف باله بل هيهات أن يقدر على تحمُّل سهو نفسه وغفلته عن ربه وأيضاً فربما جرَّه ذلك الى حب الرياسة ولا يتكدَّر إذا نزل من آدابه أن لا يكون مقدماً لإخوانه في سوء الأدب مع الشيخ أو يطلب الدنيا بالوظائف والحرف أو يتزوج بغير إذنه أو يصير يوسع على نفسه ويأكل الشهوات ويمنع إخوانه من ذلك حتى لو قال له الشيخ أنفق على إخوانك نصفاً واحداً لا يجيب وذلك إساءة أدب مع الشيخ ومع إخوانه لأن جميع الفقراء تصير تحتج بفعله ومنها أن يكون رأس ماله مسامحة إخوانه في كل شيء آذوه به من فعل أو قول أو سوء ظن وأن يعتذر لإخوانه إذا خدمهم أن لا يقوم بواجب حقهم وأن يرى خدمتهم هي الشرف ويعامل إخوانه بالكرم والإيثار بحقوقه ولا يكون له إلتفات إلى الدنيا وزخارفها والإقامة فيها ولا إلى مطالبة ناظرٍ ولا جابي علوم ووظيفة إلا إذا كان مضطراً ومنها أن لا يُصدِّق في إخوانه تماماً وإن نقل إليه إخوانه يكرهونه ويقولون فيه كذا وكذا ويقول له يا فلان أنا من محبة إخواني على يقين وكلامك هذا ظن وأنا لا أترك اليقين بالظن ومنها أن لا يكون مقدماً على إخوانه في التكاثر عن حضور مجلس الذكر بالكلية والحضور في أول المجلس أو عن الحضور لصلاة الجماعة أو مجلس العلم والأدب فمن كان مقدماً لإخوانه في ذلك فقد أساء الأدب معهم وكان عليه وزر كل من يتبعه وينبغي إذا تخلف عن المجلس بعذر وجاء في أثنائه ولو في الدعاء أن يحضر مع إخوانه فيه ولا يستحي أبداً كالحكم فيمن أتى الجماعة في التشهد الأخير يستحب له الإحرام ليحصل له جزء من فضل الجماعة وإذا وبَّخه أحدُ إخوانه على التخلف لا يقيم الحجج على إخوانه بل ينبغي المبادرة والإستغفار وقوله جزاكم الله عني خيراً وهذا دليل شدة محبتكم لي ومنها أن لا يكون مقدماً لإخوانه في الخروج من مجلس الذكر قبل الفراغ

منه لا سيّما إذا إحتبك المجلس من شدة الذكر فإنّ ذلك يضعف قلوب الذاكرين وليستعدّ للذكر بخفة الأكل والشرب حتى لا يحتاج إلى تجديد طهارة عن الحدث من حين يجلس إلى حين يفرغ لا سيّما مجلس الذكر بعد صلاة الجمعة الى العصر *فقد ورد من صلّى الجمعة وجلس يذكر الله تعالى الى العصر كان في عليين* *وقد ورد أيضاً المؤمن للمؤمن كالبنيان ؛ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضاً* (خ ٢/٢٣١٤) فالعاقل من تنبه لنفسه وأكرهها على الخير تتمرن ولا تمل إلا نادراً ويتأكد أن لا ينصرف الى مجلس الذكر الذي فيه الشيخ ولو كان حاجة ضرورية إلا بعد إستئذانه سيّما مفارقة من علت رتبته من أصحاب الشيخ فإنه تتعيّن المشاورة جزماً لئلا يقتدي به غيره فتضعف حلقة الذكر لأن المجالس إنما جعلت ليقوي بعض الناس بعضاً فإذا كسل واحد وكان جاره نشيطاً تبعه في الكسل بخلاف ما إذا عظم المجلس جاءت له الفقراء وأحبوا حضوره واعتنوا به ثم إذا إستأذنوا الشيخ وذهبوا للضرورة ينبغي أن لا يقوموا دفعة واحدة فيضعف قلب الباقيين عن القيام بل يقوموا متراسلين واحداً بعد واحد ثم إذا فرغ أهل المجلس من الذكر وأرادوا الجلوس فليرجعوا إلى أماكنهم التي كانوا فيها وينبغي أن يقرب على إخوانه طريق الوصول الى مراتب الكمال وذلك بالإشتغال بالذكر على الدوام فإنّ الله جعل لكل مرید مناهل وعقبات لا يصل إلى مقامات الكمال إلا بقطعها كلها ومنها أن يراعي مواطن غفلة إخوانه عن الذكر فيذكر الله في مواطن غفلتهم لتتنزل الرحمة على إخوانه فيحسن إليهم بذلك ويكتب له أجر عظيم وربما كان ذكر الواحد في وقت غفلة إخوانه في الأجر والثواب بعدد من غفل منهم والله يحب من عباده من يحب ذكره وأن يرغب إخوانه في ذكر الله من الفقراء صباحاً ومساءً ولا يبقيهم يجلسون للغو والغفلة فيكون رحمة على إخوانه ويحب كثرة الإخوان في الذكر محبة في الله عزّ وجلّ ويتعيّن كثرة الحث على الحضور إن كان الورد طويلاً ومنها أن يرشد إخوانه ويعلمهم الآداب الشرعية والعرفية من غير أن يرى نفسه عليهم بذلك فقد يكون أحدهم أكثر إخلاصاً منه وأحسن معاملة له فلا يلزم من كونه أعلم من المریدين أن يكون أفضل عند الله منهم وهذا أمر يغفل عنه كثير من الناس ومنها أن يكون مقدماً لإخوانه

في كل عمل شاق من أعمال الدنيا والآخرة كحمل الحطب وسهر الليالي الكاملة وكل من ادعى أنه أقدم هجرة عند الشيخ فهو أحقُّ بذلك من الحادث القريب العهد ويكون بعيداً من مواطن التهم.

الباب السابع في آداب المرید مع نفسه

منها أن يكون ورعاً عن الحرام والشبهات في مأكله ومشربه ومنطقه وسمعه وبصره ويده ورجله وقلبه وفرجه وعمدة ذلك كله الورع في اللقمة لأن الأعمال تنشأ من جوارح العبد على صورة اللقمة في الحل والحرمة فلو أراد من يأكل الحلال أن يعصي تعسر عليه ذلك قال إبراهيم بن أدهم مطعمك حلالاً ولا عليك بعد ذلك أن لا تصوم في النهار ولا تقوم في الليل يعني نفلًا وليحذر المرید من الورع رياء وسمعة للناس فإنه يزداد بذلك مقتاً وبعداً ومنها إذا تعسر رزقه وقسى عليه قلوب العباد فليصبر ولا يضجر فكثير ما تتحول الدنيا عن المرید عند دخوله الطريق فربما قال ما كان لي حاجة بالطريق فينقض عهده فلا يفلح أبداً بعد ذلك فإذا وقع له العسر فيها فليعلم أن الله يريد أن يواليه ويفتح عين بصيرته وأن لا تجتمع محبة الله مع محبة الدنيا فينبغي أن يرفضها وراء ظهره ومنها إذا دخل الطريق وهو أعزب لا يتزوج أو متزوج لا يطلق لأن طريق القوم ليست بالرهبانية وأكل الشعير إنما الطريق أن يحفظ المرید أوقاته عن الضياع في اللهو والغفلة وعدم الملل من العبادة ومنها أن يكون ناهض الهمة خفيفاً في فعل الطهارة فلا يزيد على الغسلات الثلاث وأن يرفع همته عن طلب الأجر على أعماله وعبادته وأن تكون أعماله على وفق الشريعة المطهرة فإن الشريعة هي الحد القاطع والسيف اللازم لعصمتها ومنها أن يقلل النوم ما أمكن لا سيما وقت الأسفار فإنه وقت الإجابة والعطايا والتجليات والنوم ليس فيه فائدة دنيوية ولا

أخروية وإنما هو خسران لأنه أخو الموت فلا ينال التلث الأخير وقال سيدي إبراهيم الدسوقي كيف يدعى المريـد الصدق في الحب للطريق وهو ينال وقت فتح الغنائم وفتح الخزائن ووقت نشر العلوم وإظهار المكتوم ومنها أن لا يشبع إذا أكل ولا يأكل إلا إذا جاع قال سيدي إبراهيم الدسوقي قوت المريـد الصادق الجوع ومطره الدموع ووطره الخشوع يصوم حتى يرق قلبه ويلين وأماً من شبع ونام ولغا في الكلام وترخص وقال ما على فاعل ذلك ملام لا يجيء منه شيء في الطريق والسلام ومنها أن لا يكون عنده حسد ولا غيبة ولا بغى ولا مخادعة ولا مكاراة ولا ممارسة ولا ممالقة ولا مكاذبة ولا مصاقله ولا كبر ولا عجب ولا افتخار ولا حظوظ نفس ولا تصدر في مجالس ولا رؤية نفس على أحد من المسلمين ولا جدال ولا إمتحان ولا تنقيص لأحد من أهل الطريق وتقدم بعض ذلك ومنها أن يسدّ على نفسه باب مراعاة الخلق فلا يلتفت لأحد المخلوقين أقبل عليه أو أدبر عنه لأن من شروط المريـد الصادق أن يحبّ العزلة عن الناس ولا يطلب له مقاماً ولا قيمة عند أحد منهم كما له ولهم فلا ينبغي له حضور المجلس الذي فيه اللغو فعليك بالوحدة إلا في حضور الجماعات ومجالس العلم السالمة من ذلك ومنها أن يوبّخ نفسه ويحثّها على السير في الطريق كلما وقفت مع حظوظها ويقدم حذف العلائق على كل عمل فإنهم قالوا مثال من خزن عنده درهماً مثال من ربط نفسه بحبل الفيل ومثال من خزن ديناراً مثال من ربط نفسه بحبل البئر ومن زاد في الدنيا زاد في الحبال وينبغي له كلما تعب من عبادة يقول لنفسه إصبري فإن الراحة أمامك غداً وإنما أريد بتعبك راحتك في الآخرة ومنها أن يغضّ بصره عن الصور الحسنة المستحسنة ما أمكن فإنّ النظر إليها كالسم القاتل والسهم الصائب في قلبه فيقتله لا سيّما إذا نظر بشهوة قال سيد الطائفة أبو القاسم الجنيد من أكبر القواطع على المريـد مصاحبة الأحداث والنسوان والمعاشرة لهم وقال الواسطي إذا أراد الله هوان عبده ألقاه إلى هؤلاء الأنتان والجيف يريد الشباب المرء التي تميل النفوس المغوية إليهم وقال فتح الموصلي قد صحبت ثلاثين شيخاً وكلهم أوصوني عند فراقهم أن إتق معاشرّة الأحداث فينبغي للمريـد أن لا يجالس الأمرد الجميل قط ولا يسكن وإياه في خلوة واحدة ما

أمكنه وقد صنّف سيدي محمد الغمري كتاباً سماه العنوان في تحريم معاشره الشبان والنسوان وحض فيه على المطاوعة أشدّ الحض وكذلك الفقراء الذين يأخذون العهد على النسوان ويصير أحدهم يختلي بهن في غيبة أزواجهن وتقول احدهنّ له يا أبي ويقول لها يا ابنتي فهذا خارج عن قواعد الشريعة المحمدية ومن خرج عن الشريعة ضلّ وهلك قال تعالى: **(وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ نَلْكُمْ أَطْهَرَ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ)** (الاحزاب-٥٣) وقد أجاز أهل طريقنا تلقينهن وأخذ العهد عليهن لكن مع عدم المس وعدم الخلوة بهن ومنها ما دام أمرد يجلس خلف الناس ولا يزاحم الرجال في الجلوس إلى أن يلتحي وقال بعضهم لا ينبغي للمريد إذا كان جميل الوجه لا لحية له أن يجلس قط مع الرجال إلا في حلقة الشيخ ولا يكتحل بالكحل الأسود ولا يتطيب ولا يلبس الملابس الفاخرة وإنما الأدب أن يلبس الملابس الخشنة ومنها أن يكابد خواطره ويعالج أخلاقه وينفي الغفلة عن قلبه بمداومة كثرة الذكر والفكر وأما المريد فإنما عمله الدائم في تنظيف ظاهره وباطنه من الصفات التي تمنعه من دخول حضرة الله عزّ وجلّ كالغضب وغم النفس والعجب والحسد والكبر ونحو ذلك فإذا تطهر المريد من الصفات فهناك يصلح لتلاوة القرآن ومجالسة الحق جل وعلا في الوقوف بين يديه في الصلاة هذا ما درج عليه السلف الصالح وقال المرصفي قد عجز الأشياخ فلم يجدوا أسرع لجلاء القلب من مداومة الذكر كما مرّ ومنها لا يستبطن الفتح عليه بل يعبد الله لوجهه سواء فتح عين قلبه ورفع عنه الحجاب أم لا فإنّ العبادة من شروط العبودية وقال سيدي محي الدين بن العربي إياك أن تترك المجاهدة إذا لم تر أمارة الفتح بعدها وهذا الأمر لازم لا بدّ منه ولكن للفتح وقت لا يتعدّاه فلا تتهم ربك فإنّه لا بد لأعمالك من الثمرة إن كنت مخلصاً لله في عملك وقال إحذر أيها المريد أن يكون قصدك من ذكرك وعبادتك الأجر والثواب فإنّ ذلك حاصل لك لا محالة وإنما ينبغي أن تكون همّك التلذذ بمناجاة تعالي والفوز بمجالسته فإنّ من عزم على مجالسة السلطان ينبغي أن لا يهتم بمأكله ولا بمشربه ولا بملبسه ما دام في خدمته ومنها أن لا يمدّ يده للطعام إلا عند الضرورة ولو كان بين يديه طعام كأمثال الجبال وإذا أكل لا يأكل

إلّا بقدر سدّ الرمق وقال بعضهم فترة المرید بعد المجاهدة من فساد الابتداء أو كل مرید صادق لا بد أن یترك الدنيا مرتین (الأولى) یترك مطامعها ونعيمها وجميع شهواتها (الثانية) أن یترك جاهها وتبجيل الناس له وقيمته عندهم لأجل تركها لأنه إذا عرف الزهد في الدنيا عظّموه الناس حتى الملوك ضروره فيكون تركه لذلك أعظم من تركه الأول لكن إذا أخذ الدنيا بعد رميها بقصد الستر لنفسه ولعفته وغناه عن المسألة لا يكون إلا لمن لا أتباع له مقتدين به أمّا من له أتباع مقتدون به فربما يتبعونه فيهلكون بزخارفها وسحرها وارتفاع قيمتهم فيها ومنها أن يأخذ بالأحوط في دينه ويخرج من خلاف العلماء إلى وفاقهم ما أمكن طالباً وقوع عبادته صحيحة على جميع المذاهب أو أكثرها فأرخص الشريعة إنّما جعلت للضعفاء وأصحاب الضرورات والأشغال وأمّا القوم فليس لهم شغل إلاّ مؤاخذة نفوسهم بالعزائم ولذا قالوا إذا إنحطّ الفقير عن درجة الحقيقة إلى رخص الشريعة فقد فسح عهده مع الله ونقضه. ومنها أن يُخفي أعماله وأحواله التي تكون بينه وبين الله ما أمكن حتى ترسخ في مقامات مراعاة الله وحده دون غيره من خلق الله فلا يكاد أحد يأخذ من الفقير الصادق مقاماً ولا يعرف له حالاً من شدّة كتمانته وقد أجمع أهل الطريق على أنّه إذا لم يكن المرید غير ملاحظ للخلق في أعماله لا يجيء منه شيء في الطريق وقد أجمعوا أيضاً أنّ كلّ مرید أحبّ الظهور وأن يطلع الناس على كمالاته فهو مقطوع به لا سيّما إذا صار الناس يتبركون به فإنه يهلك بالكلية.

الباب الثامن في الأمور التي يستحقّ بها المرید الطرد من شيخه

منها إذا إشتكى الفقراء منه سوء الخلق أو الكبر عليهم ونهاه شيخه عن ذلك فلم ينته أو أمره فلم يأتّم وإمتنع وتكرّر ذلك منه مراراً وكان ممن يراجع الشيخ في الأمور التي يفعلها مظهراً بذلك كمال عقله وحسن رأيه على شيخه أو يعتزل مجلس ذكر الشيخ أو مجلس وعظه لغير ضرورة أو يحضر لكن يشتغل في مجالسهم بغير ما هم فيه أو لم يحضر صلاة الجماعة لغير ضرورة أو يتهاون بالصلاة أو يلقي على شيخه المسائل العلميّة مظهراً عليه

العلم ومثبناً لنفسه الفضل أو يفعل مثل ذلك مع إخوانه من الفقراء على طريق الازدراء بهم أو كان كثير اللهو والضحك بحضرة الشيخ أو كان غير محترم له أو يستفتح عليه في المجالس بغير إذنه بحضوره أو في غيبته ولم يأذن له أو يتكاسل بالعبادة اللازمة كأداء الفرائض أو يمدح أحد مشايخ العصر عند بقية المريدين أو يستحسن طريقاً غير طريق شيخه أو يستعمل ورداً غير ما أعطاه له الشيخ بعد إنتهائه أو يكثر الجلوس في موضع التهم أو يستمع الملاهي قبل كماله أو يتجسس على شيخه وهو في خلوته أو عند عياله أو يستكشف حقيقة حاله بالبحث والسؤال عنه من الغير بعد الأخذ عنه. أو يأكل كثيراً والشيخ يربي بالجوع أو كان كثير المخالطة والشيخ يربي بالعزلة أو منهما على جمع الدنيا لغير حاجة ونحو ذلك ويتجه هنا صلاح باقي الفقراء الذين عنده فإن الواحد قد يفسد المائة.

الباب التاسع فى النقابة والنقباء وما يتعلق بذلك

الأصل فيها القيام بالحفظ والإحاطة لقوله تعالى (ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة)(البقرة-١٩٥) ولقوله (ولياخذوا حذرهم وأسلحتهم)(النساء-١٠٢) *وفي الخبر إحرص على ما ينفعك واستعن بالله* (صحيح مسلم) ومن العلوم أن لكل نبي أنصاراً ولكل جماعة أعياناً ولكل بيت رؤساء ولكل ركب أدلاء ولما كانت الأولياء على سنن الشرع والخلافة عزيزة والقيام بأمرها شاق على المريدين إلا على أهل الخصوصية إحتاج الأمر إلى إقامة أشخاص لتتعاطى خدمة الفقراء لنظام شملهم معاونين للشيخ وهم النقباء ويكفي منهم أربعة أشخاص وبهم يتم النظام فأدناهم منزلة نقيب النعال وهو أعلاهم معنى وأقربهم فتحاً وسلوكاً إذا قام بادائها ووفى حقوقها وآدابها ثم ساقى الماء له بكل قطره أجراً ثم نقيب السماط له بكل لقمة يأكلها إخوانه أجراً ثم نقيب الحضرة وهو نقيب النقباء وعين الجماعة وإليه الإشارة وهو محل سر الشيخ وبابه وله وظيفة الدعاء وتقديم المريد للعهد والاستئذان وترتيب المجلس وإفتتاحه إذا غاب الشيخ والوقوف على رأس الفقراء ولكل واحد من الأربعة آداب أما آداب نقيب النعال فكثيرة منها وهو أجلها الإخلاص في ذلك لوجه الله وأن يلزم الخضوع

ليستكمل رتبته وينوي بهذه الوقاية من المكروهات وإن قدم عليه فقير بش في وجهه ويتلقاه بالبشر والترحيب والسعة كقوله مرحباً بأخي فلان أو سيدي فلان أو الشيخ فلان شكر الله سعيكم وتقبل منكم وأعاني على القيام بواجب حقكم ويأخذ نعله وينفضه ويطويه ويعرف رتبة الفقراء ليضع نعال كل واحد مع رتبته وعليه الحفظ والصون والوقاية للنعال وإذا أراد حاجة خلف من يحرس وإذا أراد الإنصراف وأقبل عليه واحد منهم قدم له نعله ودعا له بالقبول وسأله الدعاء وينبغي أن يكون حاذقاً فطناً ليميز النعال ويعرف صاحب كل نعل وإذا أراد الكمال أخذ نحو سكين يحكُّ بها ما عساه يكون داخل النعل من وحل وخرقة يمسح بها وينبغي أن يكون له خرج أو نحوه إذا كانوا في محل غير الزاوية كزيارة أو إجتماع عند أحد ليحفظ نعالهم وعليه حمله على رقبته إن كان وقت مشي ويضعه بين يديه حال جلوسه ورتبته خلف القوم إذا مشوا وذلك ليحفظ ما عساه أن يقع منهم من ثوب ونحوه ومن آدابه أكل فضلة القوم وأماً آداب ساقى الماء فكثيرة منها تنظيف الكيزان وتطيبها بالروائح الزكية وتنظيف يده ووثابه ولا يمخط بحضورهم ولا يبصق ولا يتخطى رقابهم ولا يمنع الماء من أحدٍ جليل أو حقير ولو من غير الفقراء وأول مروره بالماء يبتدىء بمن على يمين الشيخ ويختم بمن على يساره وينبغي أن يكون عارفاً بآداب الشرب ليرشد الشارب ومن آداب الشرب أن يأخذ الكوز بيمينه وأن يشرب قاعداً ويتناول الماء بثلاث جرعات يتنفس عقب كل جرعة خارج الإناء ويبتدىء في أول كل جرعة بالبسملة ويأتي عقبها بالحمد لله ويسن بعد الشرب الحمد لله الذي أطعم وسقى وسوغه وجعل له مخرجاً فيقول هنيئاً لك يا أخي جعله الله لك صحة وعافية ونحو ذلك ممّا فيه تطيباً لخاطره وإدخال السرور عليه ويمرُّ على الفقراء بالماء في موضعين قبل إفتتاح المجلس وعقب الأكل بعد أن تُقرأ الفاتحة ويستأذن قبل أن يدخل الحلقة تعظيماً لها فإذا كانوا حال الأكل وقف على رؤوسهم أو قريباً منهم بالماء ووضع بينهم وهو أولى إذ ربما يغصُّ أحدهم بلقمة وإذا كان الذكر قائماً ودخل فقير عرض عليه الماء ولا يسقى أحداً حال الذكر ولا عقبه وإذا كانوا في زيارة أو أرادوا الذهاب إلى محل غير محله حمل معهم الماء ومن آدابه التقيد بأباريق

الاستنجاء والوضوء لمن أراد ذلك وغسل الأيدي قبل الطعام وبعده وغسل ثياب الفقراء ولا ينهر أحداً ولا يعبس في وجهه وأما آداب نقيب السماط فكثيرة منها أن يكون فطناً حاذقاً متحركاً نشيطاً نظيفاً ورعاً زاهداً حسن الأخلاق طيب الأواني يجيد الطعام ويحسنه بما يليق به فإذا أراد الأكل قرأ الفاتحة واستأذن وسأل الله تعالى في سرّه الستر وإنزال البركة في الطعام وأن يجعله صحة وعافية وقوة على طاعة الله ثم يفرش السماط قاصداً بذلك تعظيم النعمة ويرص الأواني متواليّة على نمط واحد وهيئة واحدة ولا بأس أن يكون معه معين وكونه ساقى الماء أولى لأن المرتبة قريبة ويفعل ذلك كله وهو يقرأ سورة الإخلاص لأنها تطرد الشياطين وتحصل البركة في الطعام إن شاء الله وإذا تمّ وضع المأكول قام على رؤوسهم وينبغي أن يقرأ سورة قريش في سرّه مرات قاصداً بذلك إذهاب ضرر المأكول عنهم وإذا رأى متأخراً قدّمه أو محصوراً أفسح له أو فرّع الطعام من ناحية أبدل لهم غيره إن كان فإذا تمّ أكلهم ورفعت الأواني وفيها بعض طعام لعق منه بحضرتهم يريد بذلك التبرُّك بهم وإظهار الشرف بخدمتهم وجمع ما يفضل لنقيب النعال وأكل معه ثم إذا أراد طيّ السماط قال أخلف الله على باذليه وهنا آكلية وجعل البركة فيه اللهم يا سابغ النعم ويا دافع النقم يا من يُطعم ولا يُطعم يجعل طعامنا هذا قوةً وبلاغاً وصحةً وعافيةً وشفاءً ونوراً وشفاءً ونجناً من تبعته في الدنيا والآخرة وإجعله من رزقك الذي ترزقه من تشاء بغير حساب يا أرحم الراحمين آمين والحمد لله رب العالمين ومن آدابه أن يفضل عنده بقية إذا وقع حضور احد ليقدمه إليه في محل وحده وأن يأكل معه تطيباً لخاطره فإن لم يكن عنده إلا طعام نفسه خصه به وأثره على نفسه ومن آدابه أن لا يأكل من الطعام قبل وضعه إلا بقصد ذوقه ولا يختصُّ بشيء دونهم ولا يؤثر أحداً بشيء فإن فعل ذلك فقد خان وإستحقَّ العزل وإذا أعطاه أحد شيئاً برسم الطعام من ورائهم فلا يدخره لنفسه بل إذا لم يحتج هو إليه في الحال للفقراء تركه لهم لوقت الحاجة وعليه السعي لمن لهم عليه عادته ببذلها لهم في كل جمعة أو شهر عن طيب نفس وعلامة ذلك أنّه لو لم يسع إليه لجاؤ هو بها إليه ولا يُخفي عن الشيخ شيئاً جاءه بل يأتي به ويضعه بين يديه ويقول له يا سيدي هذا من سيدي

فلان أو أخينا فلان وإن أخذه الشيخ فقد خرج من عهده وإن أمره بأخذه وحفظه فعل ذلك وإن رسم له بالتصريف لأحد دفعه له وإن وضعه بين يديه وأخبره به فسكت ولم يرد جواباً تركه وقام ومن سوء الأدب أن يظن بشيخه سوءاً إذا أخذ شيئاً ولم يخرج له للفقراء فإنه أعرف بالمصلحة منه فقد يمكن أن يكون ببذله لمن هو أحوج إليه منهم وصاحبه في الحقيقة إنما قصد به أداء الحاجة ولو علم غناهم عنه ما بذل له حيث كان من المخلصين في بذله أما شخص يبذل شيئاً ليوضع بين هؤلاء الجماعة بخصوصهم قصداً للسمعة فمثل هذا لا يقبل منه بحال لأنه أعانه على معصية ومن آدابه أن يكون عارفاً بآداب الأكل ليرشد غير العارف بها برفق ومن آدابه أي الأكل الجلوس على الركبتين أو يقيم رجله اليمنى ويصغر اللقمة ويطيل المضغ ولا يبصق ولا يمخط حال الأكل ولا يفعل ما تستقذره النفوس كوضع اللقمة في فمه ثم يخرجها ويضعها في الطعام بعد ذلك ويسمى المهندس ولا يرشش ولا يجنح ولا يضع اللحم على الخبز ولا الجبن على الرغيف ولا يكسره بموضعه ولا يسند الأثناء برغيف ويأكل مما يليه ولا يمد يده للطعام قبل الإذن ولا يحمل شيئاً معه ولا يرمي بالنوى ولا بقشور البطيخ بل يجمع ذلك بين يديه وإذا عرض له سعال أو عطاس حول وجهه وفعل ذلك ويأكل بثلاثة أصابع فيما يأتي له في ذلك ويبدأ بالملح إن كان ويختم به ويتناول اللحم أولاً ولا يقطعه بالسكين إلا أن يكون عديم الأسنان ولا يرده إذا قدم إليه كالوسادة واللبن والحلو أو الطيب والريحان فإنه يسن قبول ذلك ولا يمسح بيده الخبز ولا ينبغي كثرة الأكل وهو فوق الشبع حرام وفوق الثلث مكروه ويتباعد عن شرب الماء ما أمكن إلا لإصاغة لقمة ولا يطأطأء رأسه على الإناء حال الأكل والحديث بحديث الصالحين حال الأكل مندوب إليه ولا ينبغي القسم إلا لمتحشم وأما نقيب الحضرة الذي هو باب الشيخ وقيم الخلافة فآدابه كثيرة منها أن يكون من أهل العلم وأن يكون حليماً ورعاً زاهداً كاملاً على أحسن الهيئات وأجمل الأحوال عارفاً بالطريق مستحضر الأدب للمريدين وآدابهم مع الشيخ وآدابهم في مجلس الذكر يُنزل الناس منازلهم متصديراً لتعلم الأدب باللفظ محسناً إليهم بشوشاً صامتاً لا يمزح ولا يعبث ولا يكثر النظر ولا الإلتفات لغير

ضرورة ومنها الوقوف بوظائف القيام على رؤوس الفقراء ويفعل ما يراه مصلحة مما جرت به العادة وإذا خفي عليه أمر يُستشار الشيخ بالأدب والجلوس بين يديه وبخفض الصوت وعض البصر وإذا رأى مريداً يكلم الشيخ في شيء قال له إذا أردت شيئاً قل لي هذا إذا كان مما يتعلق بأمور العادات والمسائل العلمية أو الآداب التي يحتاج إليها الحال إما نحو واقعة أو رؤية أو وارد فلا يقوله المريد إلا لشيخه لكن لا في محل إجتماعهم بل في وقت لائق لخلوة الشيخ أو إنفراده إلا أن يقول له الشيخ هات ما عندك فإنه يقول ولو بحضرة الناس وقد يكون قصد الشيخ بذلك توبيخه أو توبيخ غيره أو تنشيط بعض الحاضرين أو غيره ذلك وبالجملة فللمشايع الصديقين مقاصد يدق ويعسر إدراكها على غير أهل العناية ممن نور الله قلوبهم وطهر أسرارهم نفعنا الله بهم أمين وإذا شاور المريد النقيب المذكور في شيء ورأى المصلحة له أو سأله عن مسألة علمية أو في طريق القوم وهو يعرفها أرشد إليها وإذا سأله عن شيء لا يعرفه سأل الشيخ وعليه أن يتلطف بالمنكر ويكرم الزائر ويرغبه في الطريق ولا يستحسن على الشيخ رأياً ولا يهمل المريدين يتجاسرون عليه ويسألونه كي لا تسقط حرمة عندهم لأن الطريق مبناها على الأدب وبه يحصل الترقّي والانتفاع ومن وظائفه المشي بالقتدليل أمام الشيخ ليلاً ويقرب منه بحيث يسمع كلامه ويرد خطابه ويحمل معه العصا وينبغي له الأشتغال بالتحاصين النافعة قاصداً بذلك تحوير إخوانه ويقصد بمشيئه أمامه أن يفديه بنفسه ومن وظائفه السعي لجميع الفقراء وقت الحاجة إليهم ومن وظائفه حفظ ما يسقط من ثيابهم حال الذكر وإصلاح المصابيح وإعطاء الطيب ووضع البخور وتفريق ما جاء للفقراء بمعرفة الشيخ وحمل السجادة وفرشها وطبها ولا يترك أحداً يجلس عليها فإذا كان آخر الليل أيقظ الفقراء للتهجد بلطف ورفق ويرغبهم بنحو قوله سار الركب وأنت نائم البطال لا يطمع في منازل الأبطال هذا وقت للتجليات فأين الراغبون هذا أوان المعاملة فأين الباذلون هيا يا أصحاب الهمم فاز فؤام الليل بمطلوبهم حصل المجتهدون على مرغوبهم التخلف لا ينفع فيه التأسف مولاك يدعوك إلى بابك سيدك يطلبك للجلوس على موائد أحبابه هل تدري ما جرى على القوم يا أسير الغفلة والنوم ومن

وظائفه أنه إذا رأى غافلاً ذكره أو مسيئاً وعظه أو جاهلاً علّمه أو من يضحك نهره أو مسيء الأدب زجره فلا يقرُّ على منكر ولا يتغافلُ عن المريرين بل يُدققُ عليهم ويؤاخذهم بما يغلب على ظنه وإن لم يتحقق وبالجملة فهو الشيخ إذا غاب الشيخ والمشار إليه إذا حضر وإذا خالفه أحد من المريرين في معروف أعلم الشيخ بحاله بعد وقوع ذلك مرّات منه.

الباب العاشر في النفوس وتقسيمها وأوصافها وما يتعلق بها والأسماء التي يستمعها

السالك في كل نفس

إعلم أنّ علماء التصوف قسموا النفوس الى سبعة وبالْحَقِيقَةُ إنها نفس واحدة لكن تُسَمَّى بإعتبار صفاتها المختلفة بأسمائها وهذه النفس هي الناطقة وتُسَمَّى باللطيفة الربّانية فكما اتّصفت بصفة سمّيت لأجل اتّصافها بها بإسم من هذه الأسماء فإذا تدنّست بالميل الى الطبيعة والركون الى الشهوات واتّصفت بالبخل والكبر والحسد والعُجب وسوء الخُلق ونحو ذلك من القبائح.

(المقام الأول النفس الأمارة) قال الصديق الأكبر إنّ النفس لأمّارة بالسوء إلا ما رحم ربي ولمّا سكنت تحت الأمر التكليفي وأذعنت لإتباع الحق وعرفت ما ينفعها غداً وما يضرها لكن بقي فيها ميل للشهوات النفسانية سمّيت لوّامة فإن زال هذا الميل وقويت على معارضة النفس الشهوانية وزاد ميلها إلى عالم القدس وتلقّت الالهامات وفهم الدسيسات سميت مهملة فإذا سكن إضطرابها وخشع هيجانها ولم يبق للشهوات حكم بل نسيتها بالكلية وزالت عنها الصفات الذميمة سميت مطمئنة فإذا ترقّت عن هذا وسقطت المقامات من عينها وفنيت عن جميع مراداتها سميت راضية فإذا زاد هذا الحال عليها وهو التعلق بالله وطلب رضاه حتى يتساوى عنها وصله وجفاه سميت مرضية عند الحق والخلق فإذا أمرت بالرجوع الى العباد بإرشادهم وبسلوكهم وتكميلهم سميت كاملة ويسمى ذلك عندهم بالمقامات فطريق الله تعالى منازل عند أهلها يقطعها السالك واحدة بعد واحدة إلى أن يصل إلى آخرها فينقطع السلوك

ولا تنقطع التجليات ولو بعد الموت كما مرَّ إذا تقرَّر ذلك فإعلم وفقني الله وإياك لطريق المقربين أن هذه الطريق أعنى طريق العارفين غير محسوس ولا مشهور وإنما هي سلوك للقلوب إلى علام الغيوب فيجب على المرید التصديق بآثاره والأذعان لسطعات أنواره فحال هذا السالك في قطع هذه الطريق والمنازل كحال المسافر في طريق الحج المحسوسة فإنَّ من أراد السير في طريق الحجِّ لا بدَّ له من ترك مألوفاته وهنا كذلك ثم يترك الأهل والأوطان رغبة في رضاء الملك الديان وكذلك هنا لا بدَّ له أن يلتفت بقلبه ولا يسره لأهل ولا أوطان ولا أصحاب ولا خلان بل لا بدَّ له من تغيير الأنفاس والجلاس ليصير من الأكياس ثم لا بدَّ له من زاد وهي هنا التقوى قال تعالى: (وتزوّدوا فإنَّ خيرَ الزادِ التقوى) (البقرة-١٩٧) ولا بدَّ له من سلاح ليُرهب به عدوه وهو هنا الذكر ولا بدَّ له من مركب حتى تهون عليه الطريق وهو هنا الهمة لأن بها هنا يرتقي المرید إلى أعلى المقامات ولا بدَّ له من دليل يسير أمامه وهو هنا الأستاذ المربي فإنَّ من سلك طريقاً بغير دليل تاه وضلَّ وهلك مع الهالكين ولا بدَّ له من رفقة في طريقه يستأنس بهم ويساعدونه على تمزيق الطريق والمراد منهم هنا الأخوان الطالبين مطالبه ثم إنَّ المسافر إذا سار عدَّ بلاداً وقرى ومدائن ويقيم فيها ثم يرحل عنها متوجهاً إلى مطلوبه كذلك المسافر السالك يمر في سيره على تلك المقامات السبعة متوجهاً إلى مطلوبه فالمقام الأول منها ظلمة الأغيار ويسمى بالنفس الأمارة والثاني مقام الأنوار ويسمى بالنفس اللوامة والثالث مقام الأسرار ويسمى بالمهملة والرابع مقام الكمال ويسمى بالنفس المطمئنة والخامس مقام الوصال ويسمى بالنفس الراضية والسادس مقام تجليات الأفعال ويسمى بالنفس المرضية والسابع مقام تجليات الأسماء والصفات ويسمى بالنفس الكاملة وكلما كان الإنسان في مقام من المقامات كان محجوباً به عما بعده فمن كان في المقام الأول فهو محجوب بالأغيار على مشاهدة هذه الأنوار ومن كان في الثاني فهو محجوب بالأنوار عن الأسرار ومن كان في الثالث فهو محجوب بالأسرار عن الكمال ومن كان في الرابع فهو محجوب بالكمال عن الوصال ومن كان في الخامس فهو محجوب بالوصال عن تجلي الأفعال ومن كان في السادس فهو

محجوب بتجلي الأفعال عن تجلي الأسماء والصفات ومن كان في السابع فهو محجوب بتجلي الأسماء والصفات عن تجلي الذات وهو لا يمكن مع أن القوم يذكرونه ويعرفونه وإعلم أن بين العبد وربّه سبعين حجاباً من ظلمةٍ ونورٍ وهي راجعة إلى العبد لأنّ الله تعالى لا يحجبه شيء والمراد من الحجب عند المحققين بعد المناسبة فإفهم فإنه دقيق ولا يعتقد أنّ الحجب أمور حسية ولا البعد بعد مسافة كما يفهمه القاصرون فإنّ الله تعالى منزّه عن البعد والقرب الحسينيين وعن الجهة والمكان والزمان وسلوك الطريق لتمزيق الحجب السبعين وهي ترجع إلى السبع مقامات المذكورة فالنفس في كل مقام محجوبة بعشرة حجب الحجاب الأول منها أكثف من الثاني والثاني أكثف من الثالث وهكذا إلى العاشر وكذا كل حجاب في نفس أكثف من حجب النفس التي بعدها إلى النفس السابعة إذا عرفت ذلك فالمقام الأول هي النفس الأمّارة فسيرها إلى الله وعالمها عالم الشهادة ومحلها وحالها الميل وواردها الشريعة وجنودها البخل والحرص والحسد والكبر والشهوة والغضب وسوء الخلق والشراسة والغفلة والخوض والإيذاء باليد واللسان والإستهزاء والبغض وغير ذلك من القبائح وذلك لأنها واقعة في ظلام الطبيعة المدعية بالتأثر فلا تفرق بين أهل الحق والباطل ولا تميّز بين الخير والشر ولا يقدر الشيطان اللعين على الدخول على الإنسان إلاّ بواسطتها فكن منها أيها الأخ على حذر ولا تأمن لها ولا تساعدها ولا تنتصر لها إذا أذاها أحد بل كن معيناً عليها وحيث تيقنت عداوتها لزمك تقليل الطعام والشراب والمنام لضعف هذه النفس الشهوانية والحيوانية لأنها إذا ضعفت هان الخلاص منها وتقدّم الكلام على مجاهدتها وليكن ذكرك في هذا المقام لا إله الا الله وتقدم أن يكون بمد لا وتحقيق همزة إله وفتح هائه فتحه خفيفة وتسكين آخر لفظ الجلالة وعدم الفصل بين الهاء وبين قولك إلا الله وإياك أن تتهاون في تحقيق همزة إله فإنك إن لم تحققها قلبت ياء وصار الذكر لا يلاه يلا الله وهذه ليست كلمة التوحيد فلا ثواب بتكرارها وأكثر منها في القيام والقعود والاضطجاع في جميع الأوقات وذلك بالجهر والقوة فإن التأثير المطلوب من هذا الإسم لا يحصل إلاّ بالإكثار والإجهاد آناء الليل وأطراف النهار فإن الذكر بالسر والهويناً لا يفيد رقياً ويطول به

الطريق على السالك بخلافه بترك الغفلة مع الاستحضار والإجهار إذا دام على ذلك ملاً قلبه بالأنوار وأودع فيه الأسرار وهذا الذكر الذي سمّاه الله في كتابه العزيز بكلمة التقوى والكلم الطيب والشجرة الطيبة والعروة الوثقى فهو أفضل الأذكار وهو حصن الله تعالى

قال صلى الله عليه و سلم: لا إله إلا الله حصني فمن دخل حصني أمن من عذابي

وقال صلى الله عليه و سلم: لا إله الا الله أفضل الذكر (ت ٣٣٨٠/٩) وهي الحسنات

أسعد الناس بشفاعتي من قالها خالصاً من قلبه (خ ٩٩/١) *ما من عبد قالها ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة وإن زنى وإن سرق وإن زنى وإن سرق وإن سرق* (م ١٥٤/١)

عن أبي ذر) *وقال صلى الله عليه و سلم: من صلى الصبح في جماعة ثم يقعد يذكر الله تعالى حتى مطلع الشمس ثم يصلى ركعتين كان له كأجر حجة وعمره تامة* (ت ٥٨٦/٢ عن أنس بن مالك)

وقال صلى الله عليه و سلم: لأن أقعد مع قوم يذكرون الله من صلاة الغداة حتى تطلع الشمس أحب إلي من عتق رقبة من ولد إسماعيل وإن أقعد مع قوم يذكرون الله من صلاة العصر حتى تغرب الشمس أحب إلي من الدنيا وما فيها (د ٣٦٦٧/٣) والملازم على هذه الكلمة يرى لها من الأسرار ما لا يدخل تحت حصر وتورثه التوحيد الخاص المعروف عند القوم وتلبسه الخام فإدخل يا طالب الخلاص حصن مولاك وخلص نفسك من سجن الطبيعة لتتال المقامات الرفيعة مع المجاهدة وأكل الحلال وإصقل مرآة قلبك ليزول عنها الران المانع لها من إدراك حقائق الأشياء وعن فهم دقائق العلوم لأنه مرآتك وأنت في هذا المقام قد علاها الصداً من الكبر والفجور والطمع والعُجب والشهوة والحقد والحسد والغضب وسوء الخُلق وغير ذلك مما تعرفه من نفسك من الجهل والغرور فالواجب الأهم في هذا المقام الخلاص من هذه النجاسات التي منعت القلوب عن مطالعة الغيوب بالذكر الكثير (تنبيه) لا يجوز للشيخ المسلك أن ينقل مريده من الإسم الأول إلى الإسم الثاني حتى يطهر من لوث دنس غبار الأغيار ويتنور ظلماً ليل وجوده بأقمار معارف الأنوار ويغيب في وجوده عن مسماه في شهوده فلا يزال في معراج هذا الإسم صاعداً وبالإشتعال لنيران إشتغاله واقدأ حتى تناديه روحانيته من غير حجاب وتخطبه بأفصح خطاب فحينئذ يشرف

على عالم شهادته ويلبس خلع سيادته. سعادته بعد نزع صفات طبائع عادته فإذا إشتغلت في خلاص نفسك من هذه الآفات وبدلت أوصافها الذميمة بأحسن صفات حميدة شاهدت بعض العجائب المكنونة والأسرار المخزونة في صدف البشرية وفهمت قول المحقق شعراً:

وداؤك منك ولا تشعر

دواؤك فيك وما تبصر

وفيك إنطوى العالم الأكبر

وتزعم أنك جرم صغير

(المقام الثاني النفس اللوامة) فسيرها إلى الله وعالمها عالم البرزخ ومحلها القلب وحالها المحبة وواردها الطريقة وصفاتها اللوم والفكر والعُجْب والاعتراض على الخلق والرياء الخفي وحب الشهرة والرياسة وقد بقي معها بعض أوصاف الأمانة لكن مع هذه الأوصاف ترى الحق حقاً وترى الباطل باطلاً وتعلم أنّ هذه الصفات مذمومة ولها رغبة في الطاعات وفي المجاهدات وموافقة الشرع ولها أعمال صالحة من قيام وصيام وصدقة وغير ذلك من أفعال الخير لكن يدخل عليها العُجْب والرياء الخفي فيحب صاحب هذه النفس أن يُطلع الناس على أعماله الصالحة مع أنه يخفيها عنهم ولا يظهرهم عليها ولا يعمل لهم بل عمله لله تعالى إلاّ إنه يحب أن يحمد ويثنى عليه من جهة أعماله ومع ذلك يكره هذه الخصلة ويمكنه قلعها من قلبه بالكلية ولو أمكنه كان من المخلصين والمخلصون على خطر عظيم *قال صلى الله عليه و سلم: الناس هلكى الا العالمون والعالمون هلكى إلا العاملون والعالمون هلكى الا المخلصون والمخلصون على خطر عظيم* (هب ٦٨٦٨/٥ ، عن ذي النون المصري) وذلك لأن المخلص يحب أن يكون معروفاً بالإخلاص وهذا هو الرياء الخفي عند المحققين لأن الرياء الجلي العمل لأجل الناس فإن كنت متصفاً بهذه الصفات فأنت في المقام الثاني ويقال لنفسك لوامة وهو مقام لا يسلم صاحبه من الخطر ولو أخلص في أعماله وهذا مقام ثاني بالنسبة إلى سلوك المقربين الطالبين الفناء عن نفوسهم والبقاء بربهم الذين أمروا بالموت قبل إنقضاء آجالهم فقال لهم موتوا قبل أن تموتوا وأما بالنسبة إلى الأبرار أهل اليمين فهو آخر منازلهم وأعلى مقاماتهم ولذلك قالوا حسنات الأبرار سيئات المقربين. لأن

المقربين لا يقفون عند هذا المقام الثاني بل يطلبون غيره إلى أن يصلوا سابع مقام فيكون لهم بعد ذلك خمس مقامات وإنما لم يقف المقربون في المقام الثاني لما فيه من الخطر العظيم لأن أعلى درجات هذا المقام الإخلاص والمخلصون على خطر عظيم ولا يكون الخلاص من هذا الخطر إلاً بالفناء عن شهود الإخلاص بشهودهم إذ المحرك والمسكن هو الله تعالى شهود ذوق وهذا الشهود متوقف على سلوك طريق المقربين وأن الأبرار لا تصل إليه ولا تشم له رائحة لأنهم نظروا أنهم أوجدوا أعمالهم فطولبوا بالإخلاص ولم يشهدوا أن الله تعالى خالق الأفعال كلها فوقفوا بالعناء والتعب وصار أحدهم لو دخل في حجر ضب لقضى الله له من يؤذيه وذلك لما فيه الشهرة المقتضية للعجب والكبر وسوء الخلق ونحو ذلك وهذه الأشياء مقتضية للتعب والعناء وضيق الصدر وضرب بعضهم مثلاً يوضح الفرق بين الأبرار والمقربون وبين تعب هؤلاء وراحة هؤلاء فقال مثال ذلك كشجرة عظيمة خبيثة كثيرة الأغصان كل غصن منها يثمر نوعاً من السم القاتل فجاء أناس فاشتغلوا بقطع تلك الأغصان ولم يلتفتوا لقطع تلك الشجرة من أصلها ولا لقطع الماء عنها لتبيس وأرادوا التخلص منها فلا يمكنهم الخلاص لأنهم كلما قطعوا غصناً نبت غيره لبقاء الشجرة ودوام سقيها فجاء آخرون فقطعوا الماء عنها فضعفت ولم تثمر فتخلصوا منها وأراحوا نفوسهم من تعب هؤلاء فالشجرة مثل بطن الإنسان والمأكّل مثل الماء والأغصان مثل الصفات الذميمة كالكبر والحسد والثرثرة مثال لما يحصل من هذه الصفات من الآثار في الخارج فالأبرار لما علموا بالدليل أنّ هذه الصفات مهلكة للإنسان في الدنيا والآخرة سعوا في إزالتها شيئاً فشيئاً ولم يقدرُوا على الخلاص منها بالكلية لأنهم كلما ملئوا بطونهم بالشهوات تقوى بشريتهم ويتمكّن الشيطان منهم فيقع منهم تلك الأشياء بالجوع والمجاهدات وعلموا بالدليل والتجربة أنّ البطن هي منبع الفساد والصفات الذميمة سعوا على الخلاص من شره بذلك فتخلصوا من جميع تلك الصفات فإذا أردت الإنتظام في سلوكهم والخلاص من جميع الآلام والراحة على الدوام فإسلك مسلكهم وإقف أثرهم بالترقي من مقام إلى مقام حتى تصل الى المقام السابع ففيه ترى العجائب والترقي يكون بالمجاهدة والإشتغال بالأسماء ففي

كل مقام تشتغل به بإسم مخصوص بذلك المقام وكلما أكثرت من الأشتغال به قرّبت عليك الفتح في الطريق وكلما توانيت وأهملت وتراخيت بعدت عليك وإشتغل أنت في هذا المقام بالإسم الثاني وهو الله الله الله بسكون الهاء وكذا بسكون آخر كل إسم من السبعة وأكثر منه فإنه لا ينفع ولا يُظهر العجائب إلاّ الإكثار آناء الليل وأطراف النهار وإجعل لك أوقاتاً تجلس فيها مستقبل القبلة إذا أمكنك وغمض عينيك وإذكر هذا الإسم بشدّة وقوّة ورفع صوت وإرفع رأسك إلى فوق وإضرب به صدرك كما مر ولا تلتفت يميناً ولا يساراً وحقق همزة الله ومدّ الألف قبل الهاء الساكنة وإياك أن تفض بك العجلة إلى أن تقول هلا هلا ولا يكون لك ذلك إلاّ إذا تركت تحقيق الهمزة وإعلم أنّه ليس في الأذكار كلها أوسع مدداً ولا أقرب تأثيراً منه في ذلك المحل فيطلع الذاكر بالإكثار منه على الأحوال الغيبية والأسرار الملكوتية ومالا يدخل تحت حصر وبالْحَقِيقَةُ فهو الأسم الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سُئِلَ به أعطي بشرط أكل الحلال والمشى على طريق الكمال فعليك بالإكثار من هذا الإسم فإنّه سيد الأسماء ومحطّ رحال العلماء الذي يشير إليه الأولياء ويتحلّى به الأصفياء ثم إعلم أنك في هذا المقام كثير الخواطر كثير الوسوس ولهذا الإسم نار تحرق به ذلك فكن مكثراً منه ولا تبالي بالخواطر فلا يمكنك الخلاص منها بالسرعة لأن مرآة قلبك متوجهة للخلق ولا شك أن المرآة إذا توجّهت إلى شيء إنتقش ذلك الشيء فيها فإن كنت متعشّفاً إلى زلال الوصال فإترك الخلق وجميع اللذات ولازم المجاهدة تنتج المشاهدة فإذا أردت المقامات العلية فإترك الخلق بالكلية وإنس جميع أهلك وصحبك وإشتغل وربك هو الفتح العليم وهذا المقام أول مقام المقربين.

(المقام الثالث) النفس الملهمة فسيرها إلى الله بمعنى أن السالك لا يقع نظره في هذا المقام إلاّ على الله لظهور الحقيقة الإيمانية على باطنه وفناء ما سوى الله في شهوده وعالمها عالم الأرواح ومحلها الروح وحالها العشق وواردها المعرفة وصفاتها السخاء والقناعة والعلم والتواضع والصبر والحلم وتحمل الأذى والعفو عن الناس وحملهم على الصلاح وقبول

عذرهم وشهود أن الله أخذ بناصية كل دابة فلم يبق له اعتراض على مخلوق أصلاً ومن صفاتها الشوق والهيمن والبكاء والقلق والإعراض عن الخلق والإشتغال بالحق والتلوين وتعاقب القبض والبسط وعدم الخوف والرجاء وحب الأصوات الحسنة وزيادة الهيمن عند سماعها وحب الذكر وبشاشة الوجه والفرح بالله والتكلم بالعلم والمعارف والمشاهد وسميت ملهمة لأنَّ الله تعالى ألهمها إما فجورها أو تقواها لقله تعالى (فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكَّاهَا) (الشمس-٨) أي طهرها بالمجاهدة بإلهام ما تتقي الله به وإعلم أنَّه لا يكون الخلوص من هذا المقام إلاَّ بأنفاس المُسلِّك ليخرجه من ظلمات الشبهات إلى نور التجليات لأنه وهو في هذا المقام ضعيف الحال لا يفرِّق بين الجلال والكمال ولا بين ما ألقاه الملك ولا ما ألقاه الشيطان لأنه لم يخلص من الطبيعة بالكلية ولم يسلب عنه جميع مقتضيات البشرية ويخشى إن غفل عن نفسه أن يهوي الى سجين وأسفل سافلين أعني المقام الأول الذي تسمَّى فيه النفس بالأمانة فيرجع إلى ما كان عليه من الأكل الكثير والشرب الكثير والنوم الكثير والاختلاط مع الخلق وربما يفسد إعتقاده ويترك الطاعات ويرتكب المعاصي ويزعم أنَّه موحد مكاشف بحقائق الأشياء وأنَّه من المحققين وأنَّ غيره من أهل الطاعة محجوب من هذا الشهود فإذا فسد إعتقاده هلك مع الهالكين وإلتحق بالكفرة المشركين وضاع تعبته وعناه وما بلغ مناه فظنَّ أنَّ التخيلات الشيطانية تجليات رحمانية فالواجب عليك أيها الأخ متابعة الشيخ وإن سولت لك نفسك إنك أعلى منه وإنك موحد وهو محجوب ويجب عليك أيضاً إتباع الشرع وملازمة الأدب وإكراه نفسك على ملازمة الأوراد وتقيدها بقيود الطريق لأنها في هذا المقام مائلة إلى الإطلاق وخلع العذار وعدم المبالاة والمقصود مخالفتها إلى أن تطمئن وذلك بالوصول إلى المقام الرابع ففيه سعادة الدارين وقرة العين ومتى وضع السالك قدمه فيه خلص بعون الله من جميع الآفات النفسانية لأنه ترقى إلى أول درجات الكمال وهبت عليه نسمات القرب والوصال وإنتقل من التلوين إلى التمكين فلا يحتاج إلى المُسلِّك إلا القليل من السالكين فإنهض وإترك رعونات النفس ولا تغتر بما لاح لك من التوحيد فإنَّه سبب لرجوعك وإنقطاعك عن مطالبك العلية مستعيناً به على تمزيق ما

بقي من الحجب النورانية وإطلب الحضرة الأحدية وتعلق بأذيال شيخك ودم على ما كنت تفعله من تقليل الطعام والمنام وتقليل الإجتماع بالناس ولا يغلب على ظنك أنك أعلم من شيخك فتحرم المدد منه وإجزم بأن خلاصك على يديه وتحمل ما تلقاه منه من الأذى وإياك أن تنكر عليه حالة من حالاته وبالجملة إنَّ هذا المقام الثالث مقام تزل فيه الأقدام جامع للخير والشر فإنَّ غلب خيرها على شرِّها ترقّت إلى المقامات العلية وإن غلب شرها على خيرها نزلت إلى سجين الطبيعة وأرض القطيعة وأسفل السافلين فيجب عليك حينئذ إتعايب النفس وتحقيرها وعلامات غلبة الخير على الشر إنك ترى باطنك معموراً بالحقيقة الإيمانية بأن تعتقد أن ما في الوجود جار على وفق إرادة الله مقدراً بقدرته تعالى ويكون ظاهره متلبساً بالطاعات مجتنباً جميع الكبائر والصغائر ولا يكون ظاهره معموراً بالشرعية وفيه ضد ما تقدّم ثم أعلم أن رضاء الله وتجلياته لا تصل للعبد إلا من باب الطاعات وإن سخطه وطرده وبُعدّه لا يصل للعبد إلا من باب المعصية ولقد أخفى غضبه في معاصيه ورضاه في طاعته فقف على باب الشريعة وآدابها وقفة الذليل وإسأل مولاك وإستعن على مطالبك بتلاوة الإسم الثالث وهو هو تظهر إن شاء الله على الهوية السارية في جميع الموجودات لا بشرط ولا بشرط لأي شيء وليكون أولاً بياء النداء ثم بدونها وتكثر من تلاوته في جميع الأوقات في القيام والعود والاضطجاع آناء الليل وأطراف النهار لتخلص ببركته من خطر هذا المقام وبه ينقطع ما بقي من التعلّقات بالنفس إلى المقام الأول والثاني لأنها لا تخلو من الإلتفات إليهما لأن الطبع يغلب التطبع وهي تترقب غفلتك فمتى غفلت عن سوقها وزجرها عادت لألفها وشوقها في هذا المقام والعشق والهيمن والشوق إلى الوصال والإجتماع مع الأحياء وتذكر لقاء المحبوب والتمتع بحال المعشوق فإنَّ هذه الأشياء تقوي السالك على السير خصوصاً إذا رأى نفسه رجع إلى ورائه وإعلم أنك يا حبيبي في هذا المقام تحتاج إلى خلع العذار وإسقاط حرمتك في أعين الناس حتى لا يكون لهم بك علقاً ولا يكون لك عندهم قيمة ولا قدراً ولا ذكراً لأن هذه الأشياء يلتذ بها العاشق وبها يعلم الكاذب من الصادق قال سيدي عمر ابن الفارض:

ولو عزَّ فيها الذلُّ ما لذَّ للهوى

ولم يك إلا الحب في الذلِّ عزَّتِي

فإخلع العذار ولا تخشى من العار فإنك في هذا المقام لا يعسر عليك خلع العذار كما يعسر في غيره من المقامات لأن هذا المقام مقام العشق والعاشق لا يعسر عليه خلع العذار فإذا أتممت خلع العذار ماتت نفسك الشيطانية القاطعة لك عن مرادك ويحصل لك خطاب الروحانيين بأمر أو نهي أو خير فلا تلتفت الى شيء من ذلك وإخلع العذار بأن تستعمل أموراً تسقط حرمتك في أعين الناس موافقة للوجه الشرعي وفائدة خلع العذار قطع الموانع التي تُمنح على لقاء المحبوب (تنبيه) مرَّ أن خواص هذه الأسماء لا تظهر إلا بكثرة الذكر الجلي القوي للمداومة على الأدب وهو أن يكون مستقبل القبلة إذا أمكنه جالساً على ركبتيه أو قائماً مغمضاً عينيه وأن يكون خالياً للبال وأن يلق سمعه إلى نطقه صاغياً لما يقول مع نظافة الظاهر والباطن فإن كنت مع هذه الآداب متمسكاً بالشرعية فقد قرب الفتح عليك فلا تمل ولا تضجر إذا تعوق عليك الفتح فإنه لا بدَّ لك منه لكن بشرط الإستقامة والتمسك بالشرعية والطريقة وإجعل ذكرك بهذا الإسم في بعض الأوقات لا هو لا هو بمدَّ لا ومدَّ واو هو لأنه ذكر عظيم وكن حالة الذكر كأنك تخاطب أعضائك بأنه ليس في الوجود إلا هوية الحق تعالى وأن كل ما سوى الله فهو آثار صفاته وأفعاله فهذا المشهد مشهد الكاملين.

(المقام الرابع وهي النفس المطمئنة) فسيرها مع الله وعالمها عالم الحقيقة المحمديَّة ومحلها السير وحالها الطمأنينة الصادقة وواردها بعض أسرار الشريعة وصفاتها الوجود والتوكل والحلم والعبادة والشكر والرضا بالقضاء والصبر على البلاء وعلامة ذلك في هذا المقام أنك لا تفارق الأمر التكليفي شبراً ولا تلتذ إلا بالتخلق بأخلاق المصطفى صلى الله عليه وسلم ولا تطمئن إلا بإتباع أقواله لأن هذا المقام مقام تمكين وفي هذا المقام يلتذُّ للسالك أعين الناظرين وإسماع السامعين حتى إنَّه لو تكلم طول الدهر لا يُملُّ كلامه وذلك لأن لسانه يترجم به عن إلقاء الله في قلبه من حقائق الأشياء وأسرار الشريعة فلا يتكلم كلمة إلا وهي مطابقة لما قال الله ورسوله من غير مطالعة في كتاب ولا سماع من أحد لأنه قد سمع

بغير حاسة ما ألقاه الله في سره وخلع عليه الوقار والقبول فيجب على السالك في هذا المقام الإجماع مع الخلق في بعض الأوقات ليفيض عليهم ممّا أنعم الله به عليه ويترجم عمّا في قلبه من الحكم الإلهية وليكن له مع الله وقتاً لأنه وهو في هذا المقام في أدنى درجات الكمال فلا يناسبه مخالطة الخلق في جميع الأوقات لئلا يُحرم الترقى الى المقامات الباقية أعني الخامس والسادس والسابع فمتى رأى الفائدة في العزلة إعتزل أو في الإجماع إجتمع وعلامة فائدة الإجماع أن يستفيد الحاضرون منه ممّا أوهبه الله من العلم أعني عالم الصدور لا علم السطور وإشتغل وأنت في هذا المقام بالإسم الرابع وهو حقُّ حقُّ حقُّ بحرف النداء أو بدونه فأكثر منه ولا تلتفت لما ظهر لك وإطلب من ربك أن لا يُظهرك على ما يكون سبباً لإنقطاعك عن خدمتهم ولذلك ترى المحفوظين من الكمال إذا أظهر الله على أيديهم شيئاً من الكرامات لا يلتفتون إليها ولا يعلمون أظهرت لهم كرامة أم لا فتركوا ذلك وقالوا:

كل شيء ما خلا الله باطل وكل نعيم لا محالة زائل

وإذ كانت الكرامات ليست شيئاً قبيحاً لأنها إكرام من الله لعباده ولكن تطلبها والميل إليها قبيح قاطع عن حضرات القرب التي لا تنال إلا بالعبودية المودع فيها أسرار الربوبية ومتى أحب ذلك خرج من العبودية وصار يتظاهر بها على غيره وإعلم أنّ السالك في هذا المقام يحب الأوراد ويميل إليها وكذا الأدعية ويحب حضرة النبي صلى الله عليه وسلم محبة غير المحبة التي كانت قبل هذا المقام ولا تأمن من النفس في هذا المقام ولا غيره لأن العدو الذي غرست في طبعه العداوة لا يؤمن وإن صار صديقاً ولأن الإنسان متعرضٌ للمحن والبلايا وقد يعرض له حب المال هنا فلا يضره بشرط أن يكون قصده به الإستعانة على الله وعلى أن يعين به الإخوان وأن لا يشتغل قلبه بتحصيله وإن حصل شيئاً منه فلا يخفيه عن الناس إظهاراً لنعم الله عليه وتحدياً بنعمته ويظهر لهم الفقر من نفسه والتبرّي من الحول والقوّة وقد يعرض عليه في هذا المقام حب الرياسة وتدخل عليه نفسه بأن يتعرض

للمشيخة والإرشاد وإجتماع الناس عليه ليحصل على يده الاهتداء فلا يلتفت إلى ذلك فإنها
 دسيسة من النفس فليحذر ويدفن وجهه في الخمول وأما إذا أقامه الله وأشهره وألبسه ثوب
 المشيخة من غير سعي منه ولا جدٍ ولا تطُّبٍ ومع ذلك يجب الخمول فلا بأس بظهوره فإنَّه
 خير له من الإعتزال وعلامة إقامة الله له أن يكون محبوباً لإخوانه وهم مطيعون له ولا
 يرى لنفسه عليهم تمييزاً كأنهم خير منه ومن وجه لأنهم يرون أنفسهم أحقر منه فيكون هو
 أعظم إحتقاراً منهم طالباً بذلك دعوة صالحة منهم تدخله رحمة ربه وإذا وصل السالك إلى
 الرابع وصارت النفس مطمئنة إلا أنها لا تصلح للإرشاد لإنعدام شروطه منها فينبغي أن لا
 يستعجل في التقدُّم حيث كان هناك من هو أفضل منه ويكمل سلوكه بالترقي إلى المقام
 الخامس فالسادس فالسابع وإذا عرفت الفرق بين النفوس عرفت أنه لا خلاف في المعنى
 بين من قال أنَّ المقامات سبعة التي يترقى بهم وهم الخلوتية وبين من قال أنَّها ثلاثة وهم
 غيرهم لأن غير الخلوتية لا يعدون المقام الأول مقاماً فيعدون الثاني والثالث والرابع ولا
 يعدون الخامس والسادس والسابع لأنهم لم يعتبروا النفوس الزكية بإعتبار الفطرة ولا شكَّ
 أنَّ هذه النفوس إذا وصلت للمقام التي تكون فيه النفس مطمئنة كملت وصلحت للإرشاد
 وأمَّا الخلوتية الذي هذا الكتاب على مذهبهم فجعلوا المقامات سبعة وجعلوا أولها مقام النفس
 الامارة وآخرها النفس الكاملة فغير الخلوتية لا يلتقون السالك إلا ثلاثة أسماء فلا يلتقونه
 وهو في النفس اللوامة إلا لا إله الا الله وفي أوائل المهمة الله الله الله وفي آخرها هو هو هو
 وبهذا الإسم يدخل على المطمئنة ولا يلتقونه غيره بخلاف الخلوتية فإنهم يلتقونه سبعة
 أسماء في السبعة نفوس ففي الأول يلتقونه لا إله الا الله فإذا ظهرت العلامة وإستحقَّ النقلة
 لِقنوه الله الله إلى آخر السبعة هكذا كلما ظهرت العلامة نقلوه إلى ما بعده إلى آخر المقامات.

(المقام الخامس للنفس الراضية) فسيرها في الله وعالمها اللاهوت ومحلها السر وحالتها
 الفناء لكن لا بمعنى اللفظ الذي مرَّ بيانه والفرق بينهما أنَّ ذلك حال المتوسط في الطريق
 وقد عرف أنَّه ذهول الحواس عن المحسوسات وهذا حال المسرفين على البقاء الذين هم في

آخر السلوك والمراد به محو الصفات البشرية والنهي للبقاء من غير أن يعقبه البقاء في الحال لأن ذلك الفناء هو حق اليقين وهو بعد الفناء وهذه النفس أعني الراضية ليس لها وارد لأن الوارد لا يكون إلا مع بقاء الأوصاف وقد زالت في هذا المقام حتى لم يبق لها أثر ولذلك كان السالك في هذا المقام فانياً لا باقياً بنفسه كما كان قبل هذا المقام ولا باقياً بالله كما يكون في المقام السابع وهذه الحالة لا تدرك إلا ذوقاً وقد يمكن الكامل أن يفهمها المتهيء للكمال وصفات هذه النفس الزهد فيما سوى الله والإخلاص والورع والنسيان والرضا بكل ما يقع في الوجود من غير إختلاج قلب ولا توجه لدفع مكروه ولا إعتراض أصلاً وذلك لأنه مستغرق في شهود الجمال المطلق ولا تحجبه هذه الحالة عن الإرشاد والنصيحة للخلق وأمرهم ونهيهم ولا يسمع أحد كلامه إلا وينتفع به كل ذلك وقلبه مشغول بعالم اللاهوت وسر السر وصاحب هذا المقام غريق في بحر الأدب مع الله لا ترد دعوته والحق أن صاحب هذا المقام ليس له ركون إلى ما سوى الله فمتى رأيت نفسك تركز لغيره فأعلم إنك لست من أصحاب هذا المقام لأن صاحبه أشرف على سلطنة الباطن التي جميع الظواهر تحت قهرها وإشتغل وأنت في هذا المقام بالإسم الخاص وهو حي حي فأكثر منه فيزول فناؤك ويحصل لك البقاء بالحي فتدخل في المقام السادس وتترقى من الوقوف على الباب إلى منازل الأحباب وتعت بالحي وتوصفت بالصفات الكاملة وهو معنى كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به المعبر عنه بقرب النوافل وإعلم أن من الأسماء أسماء يقال لها فروع وهي الوهاب الفتح الواحد الأحد الصمد فإشتغل وأنت في هذا المقام بإسم الفتح أو بإسم الوهاب مع الخامس وهو الحي يسهل عليك الانتقال إلى المقام السادس الذي أنت فيه في غاية الإحتياج والله الموفق الهادي.

(المقام السادس للنفس المرضية) فسيروها عن الله وعالمها عالم الشهادة ومحلها الخفاء وحالها الحيرة وواردها الشريعة وصفاتها حسن الخلق وترك ما سوى الله واللطف بالخلق وحملهم على الصلاح والصفح عن ذنوبهم وحبهم والميل إليهم لإخراجهم من ظلمات

طبائعهم وأنفسهم إلى أنوار أرواحهم للميل الذي في النفس الأمارة لأنه مذموم ومن صفات هذه النفس الجمع بين حب الخلق والخالق وهو عجيب لا يتيسر إلا لأصحاب هذا المقام ولذلك صاحبه لا يتميّز من العوام بحسب ظاهره وأما بحسب باطنه فهو معدن الأسرار وسميت هذه النفس بالمرضية لأن الله قد رضي عنها ومعنى كون سيرها عن الله أنّها أخذت ما تحتاجه من العلوم من حضرة الحي القيوم ورجعت من عالم الغيب الى عالم الشهادة لتفيد الخلق ممّا أنعم عليها وحالها الحيرة المقبولة وهي المشار إليها بقوله ربّ زدني تحييراً لا الحيرة المذمومة التي في أهل السلوك ومن شأن صاحب هذا المقام الوفاء بما وعد الله فلا يخلف الله وعده أصلاً ووضع كلّ شيء في محله فينفق الكثير إذا صادف محله حتى يظنّ الجهول أنّه أسرف ويبخل بالقليل إذا لم يصادف محله حتى يظنّ الجهول أنه أبخل من كل بخيل ولا يلتفت لمدح ولا ذمّ في الإعطاء ومن أوصافه أنّ جميع شؤونه في الحالة الوسطى وهي بين الأفراط والتفريط وهذه الحالة لا يقدر عليها إلا من كان في هذا المقام وإعلم أنّك في أول هذا المقام تلوح لك بشائر الخلافة الكبرى وفي آخره تخلع عليك خلعتها وفي خُلعك كنتَ سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها فبي يسمع وببي يبصر وببي يبطش وببي يمشي وهذه نتيجة قرب النوافل وهو أن يكون التأثير للعبد بإستعانة الحق بمعنى قد إتصف بصفات التأثير من فيض الملك القدير فإفهم وتحقق هذا المقام أن السالك إذا وصل الى مقام الفناء وهو المقام المذكور قبل هذا تُحق صفاته الذميمة البشرية التي هي محل الإنفعال والشقاوة والدعو وذلك هي سبب قربه بالنوافل التي هي الرياضات والمجاهدات للنفس وقد جرت عادة الله أن يهبه كرمًا منه صفات مناقضة لتلك الصفات مؤثره بإذن واهبها وهذا هو حقّ اليقين الآني في الخاتمة والحق أنّ هذه الأمور لا تدركها العقول ومتى حاول إدراكها العقل وقع في الزندقة لأن الفناء ليس في الخارج له نظير حتى يمثل له وكذا البقاء بالله وكذا قرب النوافل وقرب الفرائض وإشتغل وأنت في هذا المقام بتلاوة الإسم السادس و هو قيوم قيوم فأكثر منه تصير حسنات الأبرار سيئات لك ولا تزال متأدباً بآداب الشريعة والطريقة إلى أن تنتقل

إلى المقام السابع طالباً التحقيق بالصورة الآدمية التي كانت قبل الملائكة التي حقيقتها الحقيقة المحمدية.

(المقام السابع التي تسمى فيه النفس بالكامل) فسيرها الله وعالمها كثرة في وحدة ووحدة في كثرة ومحلها الإخفاء الذي نسبته الى الخفاء كنسبة الروح الى الجسد وواردها جميع ما ذكر من الأوصاف الحميدة الحسنى للنفوس المتقدمة ومفتاحها الاسم السابع وهو قهار قهار فليكثر منه وهو أعظم المقامات لأنه قد كملت فيه سلطنة الباطن وتمت فيه المكابدة والمجاهدة وتحقق بإشارة قوله تعالى (إن الله يشتري من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة) (التوبة- ١١١) ليس لصاحب هذا المقام مطلب سوى رضوان الله حركاته حسنات وأنفاسه قدرة وحكمه عبادة وإعلم أن إسمه تعالى القهار إسم القطب قال المشايخ ومنه يمد القطب المريدين الطالبين بالأنوار والهدايات والبشارات وقالوا مهما حصل في قلوب المريدين من الفرح والسرور والجنابات الكائنة بغير سبب فهو من مدد القطب عوضاً عن أذكارهم وتوجُّهاتهم لربهم وصاحب هذا المقام لا يفتر عن العبادة وذلك إمّا بجميع البدن أو باللسان أو بالقلب أو بالروح وهو كثير الإستغفار كثير التواضع سروره ورضاه في توجهه الخلق إلى الحق وضره وغضبه في إدبارهم عن الحق يرضى لرضاه ويغضب لغضبه يحب طالب الحق أكثر من محبة ولده من صلبه وهو كثير الأوجاع قليل القوى قليل الحركة ليس في قلبه كراهة لمخلوق مع إنه يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويظهر الكراهة المجازية لمستحق الكراهة ويظهر المحبة لمن هو أهل المحبة لا يخاف ولا يخشى الا الله لا تأخذه في الله لومة لائم يرضى في عين الغضب ويغضب في عين الرضا لكنه يضع كل شيء في محله متى وجّه همته إلى كون من الأكوان أوجده الله تعالى على وفق مراده وذلك لأن مراده مراد الله لا يطلب الا ما أراه الله فإذا أراد شيئاً وطلبه منه لا يرده ولا يخيبه.

(تنمة) إعلم أن الإنسان من أشرف الموجودات ومجمع عالم الغيب والشهادة وروحانيته على مثال عالم الشهادة ولم يخلق الله شيئاً في الدنيا والآخرة إلا وخلق الله فيه صفة تناسب

ذلك الشيء فجميع صفات العالم مودوعة فيه ولذا سمي بالعالم الأصغر ولذلك أنّ السيار إذا عبر على الصفات الحيوانية فأى صفة يعبر عنها في البهيمة يرى حيوان تلك الصفة غالباً فيرى في صفة الفأر والنمل فإن كان حرصه كثيراً رأى الفأر وإن كان قليلاً رأى النمل فإن رأى الفأر والنمل إفترس به أو عضه دلّ على قوة تلك الصفة فيه وإن رآهما ماتا أو قطعاً دلّ على موت تلك الصفة ويرى سنة الشر مثلاً على صورة الدب والخنزير لأن كلا منهما سجيته الشر لكن الأولى أشدّ ضرراً على الأعمال الظاهرة والثاني أشدّ ضرراً على الأعمال الباطنة فإن رآهما قويين دلّ على قوّة تلك الصفة فيه وإن رأى أحدهما قوياً والآخر ضعيفاً دلّ على ضعف تلك الصفة تارة وقوتها أخرى وإن رآهما ضعيفين دلّ على ضعفهما فإن رآهما ميئين منقطعين دلّ على موتهما أو انفصالها عنه وإن رآهما أذياه وضرّاه دلّ على ضرر في دينه ويرى صفة البخل على صورة الكلب والقرد والأول أشدّ في الأمور المعنوية والثاني أشدّ في الأمور الحسيّة فتارة يراها السالك قويين أو ضعيفين أو أحدهما قوي والآخر ضعيف على وزن ما تقدّم في النمل والفأر وإن رآهما قويين لكن لم يفترساه ولا أحدهما دلّ على تحريك تلك الصفة لكن لم يضره ذلك لتفكره وتبصره ويرى الكبر المذموم على من شأنه ذلك فإن رآه ضعيفاً دلّ على ضعفها أو قوياً دلّ على أنّه قوي فإن رآه قاتله دلّ على منازعة تلك الصفة الخبيثة لصفة التواضع وإن غلبه وقتله دلّ على خروجه منها بالمجاهدة لكن إن كان القتل بسيف فهو بالذكر وإن رآه فانياً ميئاً فتلك الصفة فنيت عنه ويرى الحق المذموم على صورة الحيّة وهو ضد المسامحة ويرى الغضب المذموم شرعاً على صورة الحمار الذكر فإن رأى واحداً من ذلك مات تحته دلّ على موت تلك الصفة منه وإن رأى أنه راكباً فرساً فذلك علامة سيره بالقلب أو جملاً فذلك علامة على الهمة وذلك بقدر علوه عن الأرض وإن رأى أنّه في سفينة في تلك البحر فتلك الشريعة والبحر الطريقة وقدر سيرها على قدر سيره والمسك كسب حلال والأوز والدجاج والحمام مثال حرصه على الحلال وعسل النحل أخلاقٌ جيدة وإن رأى نساء دلّ على نقصان العقل ورؤية القمر دليل على إرتكاب المكروه وإذا رأى إنساناً مقصوص اللحية دلّ

على نقص الشرع منه ومثله مخلوق اللحية ومن رأى أعرج دلَّ أنه إدعى الحقّ ولم يمش عليه ورؤية المكسح عصيان أمر الله ورؤية الأعمى دليل على كتمان الشهادة ورؤية الأطرش دليل على عدم سماع الشريعة والوعظ ورؤية الدلال والدلالة دليل على الكذب ورؤية القصاب دليل على قساوة القلب ورؤية المصحف والقراءة دليل على صفاء القلب ورؤية المشايخ دليل على الإرشاد لنفسه ورؤية المدينة المنورة والكعبة والقدس دليل على الطهارة من الدنس ورؤية السيف والموسى دليل إشارة على الوسوس الشيطانية ورؤية الحور والملائكة والجنة دليل على كمال عقله والقرب الى الله ورؤية الشمس والقمر حصول معارف الله عزَّ وجلَّ (تنبيهه) إذا أكثر السالك من الذكر تظهر له كرامات وعلامات ويكشف له عن طبائعه الأربع الماء والتراب والهواء والنار وصفاتها وكدورتها بحسب قوة الاستعداد وعدمه فيرى مياهاً كثيرة وتلالاً وطيراً في الهواء ونيراناً مختلفة سوداء وحمراء وزرقاء وصفراء وبيضاء فإذا صفا ذلك العنصر بالمداومة على الذكر يرى سراجاً ومصابيح وشموعاً وقناديل ونيراناً صافية وربما يدخل في النار ويمشي عليها من غير أن تلحقه مضرة ويتلذذ برؤية هذه الأشياء فإذا رأى هذه العناصر المكثرة دلَّ على تغير الباطن والتقصير في باقي الخواطر فينفي ذلك الذكر الجهري بالشدة والقوة كما مرَّ مع إستحضار الشيخ ثم ينتقل الى عالم الأنوار فيرى أنوراً مختلفة فما يكون على صورة البرق واللمع فأكثره منشأ الذكر والوضوء والصلاة وما يكون على صورة السراج والشمس وأمثالها فأكثره يكون ولاية الشيخ أو من الحضرة النبوية أو من أنوار العلوم أو القرآن أو الإيمان وكذا الشمع والسراج نور قلبه وصورة المشكاة والقنديل وما يشاهد على صورة الكواكب يكون من الأخلاق المحمدية وإعلم أن المقامات التي يراها الصالحون أسرار يظهرها الله سبحانه وتعالى في مرآة القلوب الصافية والرؤية الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة *وقال صلى الله عليه وسلم: لم يبق من النبوة إلا المبشرات قيل وما هي يا رسول الله قال الرؤيا الصالحة يراها المؤمن أو ترى له* (خ/٤٠٨٩) *وقال صلى الله عليه وسلم: أصدقكم حديثاً أصدقكم رؤيا وإذا اقترب الزمان لم يكذب رؤيا

المؤمن* (مسلم ٢٢٦٣/٢) *وكان صلى الله عليه وسلم يقول عند إنصرافه من صلاة الصبح من رأى منكم رؤيا فليخبرني بها أعبرها له* (خ٦٥٨٩/٤) لكونه يرى أثر الوحي الإلهي في أمته فهذه المقامات تنبىء من أحوال السالكين أن جميع ما يراه المؤمن في منامه على إختلاف درجة السائرين كشفاً عن أحوالهم الطاهرة والباطنة فليثبت القاصر للرؤيا لئلا يزيد فيها على ما يراه فيدخل في *قوله صلى الله عليه وسلم: من كذب في حلمه فليتبوأ مقعده من النار* (أحمد في مسنده عن علي) ومن كذب في منامه من السالكين دل على خيانتته وعد صدقه مع الله وكان عقابه وخيانتته راجعين إليه فإن كذبه وإن خفي عن الشيخ ورفاه بتلك المقامات والأسماء وألبسه الخرقه فإن ذلك لا يخفى على الله ولا على أهل الطريقة والله لا يحب الخائنين فإذا علم المرید كذب نفسه فليتنبه وليتب فإن مكر به وطرد فليستدرك نفسه بالرجوع والإستغفار وليخبر الشيخ بما صدر منه ليتوجه الشيخ إلى الله تعالى في قبوله لأنه كذب في سر الله الذي هو وحي الله تعالى لعباده على لسان ملك الإلهام يبشرهم الله به ويعظهم ليزدادوا بذلك جداً وزهداً قال بعض المحققين إعلم أن أنواع الرؤيا أربعة (أحدها) المحمود ظاهراً وباطناً كالذي يرى أنه يكلم الله عز وجل أو أحد الملائكة أو الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في صفة حسنة أو كلام طيب أو أنه يجمع جواهر أو أكلا طيباً أو يرى أنه في مكان من مكان العبادة ونحو ذلك (الثاني) المحمود ظاهرها المذموم باطنها كسماع الملاهي أو شم الأزهار فإن ذلك هموم وأفكار ولمن يرى بأنه يتولى منصباً لا يليق به (الثالث) المذموم ظاهراً وباطناً كمن يرى حية لدغته أو ناراً أحرقتة أو سيلاً أغرقه أو هُدمت داره أو إنكسرت أشجاره فذاك رديء لدلالاته على الهم والنكد (الرابع) المذموم ظاهراً المحمود باطناً أن يرى أنه ينكح أمه أو يذبح ولده فإنه يدل على الوفاء بالنذر أو الحج إلى أكبر أماكن العبادة وعلى أنه ينفع أمه ويزوج ولده وعلى مواصلة الأهل وعلى رد الأمانات ثم إعلم أن أحوال السالك إما رؤيا وإما واقعة فالرؤيا ما يراه في النوم والواقعي ما يراه في حال اليقظة وهو مغمض عينيه ويسمى ذلك بعالم المثال وبالعالم الملكوت والدخول في عالم المثال لا يكون للسالك إلا في حالة اليقظة والنوم ويعرض ذلك

وهو جالس غالباً ويرى ما يرى وقد يكون صاحب هذه الواقعة مفتاح العينين لكن لا بد من ذهول يعتري الرائي وفي هذا المقام يكون الهو الله وهي خطاب الحق بطريق المكافحة في عالم المثال وشرط من هو في عالم المثال أن يعلم المكان الذي هو فيه والوقت ويعلم أنه بين النوم واليقظة ثم يترقى حتى يصير جانب اليقظة أغلبها.

الخاتمة

في شيء من مصطلح القوم مما ينبغي الوقوف عليه أي في بيان تفسير ألفاظ تدور بين هذه الطائفة وبين ما يُشكّل منها على غيره إعلم أن كل طائفة من العلماء لهم ألفاظ يستعملونها فيما بينهم إنفردوا بها عن سواهم حيث توافقوا عليها لتقريب الفهم على المخاطبين بها أو للتسهيل على الوقوف على مقاصدهم بإطلاقها كأهل أصول الدين حيث إصطلحوا على إطلاق العالم والجوهر والكون والحال وغيرها لمعان أرادوها وربما وافق بعضهم مقتضى اللغة على وضعها الحقيقي وهذه الطائفة يستعملون ذلك للكشف عن المعاني والأقوال والستر على نياتهم في طريقهم وهي معان أودعها الله في قلوبهم ولنشرح ظواهر بعض اصطلاحاتهم ليسهل فهم من يريد الوقوف على معانيهم من سالكي طريقهم فمن ذلك قولهم **التصوف**: هو تفريد القلب لله وإحتقار كل ما سواه. **المراقبة**: هي استدامة علم العبد بإطلاع الرب عليه. **المشاهدة**: هي رؤية الحق في كل ذرة من ذرات الوجود مع التنزيه عن ما لا يليق به. **الإتصال**: قال الثوري رضى الله تعالى عنه الإتصال أن لا يشاهد العبد غير خالقه وقال بعضهم الإتصال وصول السالك مقام الذهول وقال بعضهم الإتصال مكاشفة القلوب ومشاهدة لأسرار الشهود برؤية الحق بالحق. **التجلي**: ما ينكشف لقلب السالك من أنوار الغيب فإن كان مبدؤه الذاتي من غير إعتبار صفة من الصفات سمي تجلي الذات وأكثر

الأولياء يتركونه ويقولون أنه لا يحصل إلا بواسطة صفة من الصفات فيكون هذا من تجلي الأسماء الذي هو قريب من تجلي الصفات من حيث تعيينها وامتيازها عن الذات تسمى تجلي الصفات وإن كان مبدؤه فعلاً من الأفعال سمي بتجلي الأفعال فتجلي الأسماء هو ما ينكشف للقلب من صفاته تعالى وذلك بعد فناء صفات السالك ظهر على السالك بصفة من صفاته تعالى بعض آثار تلك الصفة بفضل الله تعالى مثلاً إذا تجلى عليه الحق تعالى بصفة السمع صار يسمع نطق الجمادات أو غيرها وقس على ذلك. **تجلي الأفعال:** هو ما ينكشف لقلب السالك من أفعاله تعالى فإذا تجلى الحق تعالى على السالك بفعل من أفعاله إنكشف للسالك جريان قدرة الله تعالى في الأشياء فيرى أن الله تعالى هو المحرك وهو المسكن شهوداً خالياً لا يعرفه إلا من هو أهله وهذا التجلي مزلة الأقدام فيخشى على السالك منه لأنه ينفي الفعل الثابت وإعلم أن تجلي الأفعال سابق على تجلي الصفات والأسماء فإذا ثبت السالك وأقام الشريعة على نفسه مع شهود أن المحرك والمسكن هو الله ترقى من هذا التجلي الخطر إلى تجلي الأسماء والصفات وإن لم يثبت تزندق وطرد من الطريق. **الشوق:** إحتياج القلوب إلى لقاء المحبوب. **المحبة:** هي ميل الطبع إلى الشيء لكونه لذيذاً ومحبة السالكين ميل قلوبهم إلى جمال الحضرة الإلهية. **الحال:** معنى يرد القلب بلا تصنع ولا إجتلاب ولا إكتساب وهو إذا قرباً أو حزنّاً أو قبضاً أو بسطاً أو هيبهً أو غير ذلك مما يرد على القلب فإذا زال عنه فهو المسمى بالحال وإذا دام وصار ملكه يسمى مقاماً فالأحوال مواهب والمقامات مكاسب. **الوقت:** عبارة عن التجلي للعبد من الحق تبارك وتعالى. **القبض والبسط:** حالتان تحصلان للسالك المتوسط في الطريق كما أن الخوف والرجاء يتعلقان بأمر مستقبل مكروه أو محبوب فالقبض يورث خشيةً وأدباً معروفاً لأنه يزهد في الدنيا ويدل على الآخرة والبسط فرح القلب بالتوجه إليه. **الهيبة والأنس:** حالتان فوق القبض والبسط كالخوف والرجاء والهيبة مقتضاها الصحو والإفاقة. **الشرب والري:** عبارة عما يجدونه من ثمرات التجلي ونتائج الكشوفات وموارد الواردات فأول ذلك الذوق ثم الشرب ثم الري فصفاء معاملتهم توجبهم ذوق المعاني ووفاء منازلهم توجب لهم الشرب

ودوام مواصلتهم توجب لهم الري فصاحب الذوق متناكر وصاحب السكر شربان وصاحب الري صياح. السر وسر السر: قال تحمل على أنه اللطيفة الربانية المودعة في القلب كالأرواح وهو باطن الروح فإن تنزل درجة كان روحاً وإن تنزل أخرى سمي قلباً وأصولهم تقتضي أنه محل المشاهدة كما أن الأرواح محل المحبة والقلب محل المعارف وقال السر ما لك عليه الإشراف وسر السر ما لا إطلاع لغير الحق عليه. الملكوت: عالم الغيب المختص بالأرواح والنفوس المجردة.

الرتبة الأحذية: الرتبة المستهلكة في جميع الصفات والأسماء وتسمى جمع الجمع. الفناء: أن يفنى السالك عن الحظوظ فلا يكون له في شيء حظ بل يفنى عن الأشياء كلها شغلاً بالله والبقاء هو أن يفنى بما له ويبقى بما هو الله تعالى. الجمع: شهود الأشياء بالله والتبري عن الحول والقوة. جمع الجمع: الإستهلاك بالكلية والبقاء عن ما سوى الله وهي مرتبة الأحذية المتقدمة ويقال فناء الحس وبقاء الفرق الأول هو أن يحتجب السالك بالخلق عن الحق وهو حال عوام السالكين الفرق الثاني هو شهود قيام الخلق بالحق ورؤية الوحدة في الكثرة والكثرة في الوحدة من غير حجاب بإحداهما عن الأخرى. التجريد: عبارة عن إزالة الأغيار عن القلب والسر. الحرص: إجمال إلى الطلب الإلهي الوارد على القلب بضرب من القهر. علم اليقين: هو العلم الحاصل بالمشاهدة. حق اليقين: هو فناء صفات العبد في صفات الحق وبقاؤه علماً وحالاً لا علماً فقط فالذي يفنى من العبد على التحقيق صفاته لآذاته فحينئذ لا بد من بقاء عين العبد الثاني فلا تفنى ذاته في ذات الحق كما يفهمه الجاهلون الذين كذبوا على الله بل العبد كلما تقرب إلى الله بالعبودية وإظهار العجز والفناء عن جميع الصفات المناقضة للعبودية وهبه الله فضلاً من صفات حميدة خفية عوضاً عن ما فني من الصفات الذميمة الخلقية والله تعالى هو القادر على كل شيء لكن متى شاء أذهب من العبد ما فيه من الخبائث وأمدّه بما يعجز عنه كل ما سوى الله فلا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع ولا راد لما قضى ولا مبدل لما حكم وقد مثلوا لذلك وهو أن القطعة من الفحم إذا وقع عليها

ضوء النار لكن لا بسبب المقابلة بل بسبب وقوعها على حائط مثلاً ثم انعكس الضوء من الحائط على قطعة الفحم فأضاءت وهذا مثال لعلم اليقين وإذا كانت قطعة الفحم بجانب النار بحيث تسعر من حرارتها وتفنى أوصافها في أوصاف النار وانفعالها بانفعال النار وهذا مثال لحق اليقين وهذا التحقيق مأخوذ من كلام سيدي محي الدين بن العربي وغيره فقد قال: ولا تعتقد أن ذات العبد تفنى فلا يبقى إلا الحق فإن ذلك ضلال وجهل لا يرضى به المحققون وإن وقع من أصحاب الشطح ما يشعر بذلك فإن الشطح مردود عن أهله وهو عبارة عن كل كلمة عليها رائحة رعونة ودعوى وهو من زلات السالكين وقال ابن الحاج في شرف الحكم فإن قيل ما حقيقة علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين قلنا العلم المتواتر بوجود الشيء علم اليقين ورؤيته دون الحلول به عين اليقين والحلول حق اليقين مثال ذلك كعلمنا بوجود مكة ورؤيتنا لها وجلسنا بها وإن شئت قلت رؤية هبول السكر أنه يحيى منه حلاوة علم اليقين فإنظر رحمك الله ما أحلى ضرب هذا المثال من السكر بأنه سكر الطوالع وهي أول ما يبدأ من تجليات الأسماء في باطن السالك فتحن أخلاقه بها لأنها تنور باطنه. **الحجاب:** هو انطباع الصور الكونية في القلب المانع من قبول تجلي الحق وقد تكثر الأغيار فتكون حجاباً ظلمانية وقد تقل وتكون حجاباً نورانياً فلذلك إختلف المحققون في ترك الأسباب والخلوة لئلا تطبع الصور الكونية في قلبه فتمنعه عن تجلي الحق له والدليل على أن المانع هو الصور أنك ترى العابد الذي ليس سالكاً لطريق المحققين يعبد سبعين سنة فلم يحصل في قلبه شيء ما يحصل للسالكين لأن العابد الذي ليس سالكاً قلبه مملوء من الأغيار ولا يسعى في إذهابها عن قلبه ولا يريد ما أراده السالكون بل يطلب ما اعده الله تعالى في الجنة وهو لا يخلف الميعاد وأما العابد السالك فيعطيه الله في الدنيا التجليات وله في الآخرة أعلى المقامات. **الهوية السارية في جميع الموجودات:** وهي عبارة عن الذات العلية الملاحظة لا بشرط شيء ولا بشرط لا شيء وقال القصير في شرح تائية ابن الفارض أعلم أن الذات الإلهية إذا اعتبرت من حيث هي أعم من أن تكون موصوفة بصفة ما أو غير موصوفة فهي مسماة عند القوم بالهوية وحقيقة الحقائق وإذا اعتبرت مجردة عن الصفات

الزائدة عليها فهي المسماة بالواحدية والإلهية مشتملة وعليها والصفات إن كانت متعلقة باللفظ والرحمة فهي المسماة بصفات الجمالية وإن كانت متعلقة بالغير تسمى بالصفات الجلالية ولكل منها جمال وجلال أي وللصفات الجمالية جلال وللجلالية جمال وإذا اعتبرت الظاهرة الخلقية من غير استهلاك فيها يسمى بمقام الفرق والفرق منقسم قسمين الأول والثاني ويعني بالأول ما يكون قبل الوصول وبالثاني بعد الوصول والفرق الأول للمحبوبين والثاني للكاملين المكملين ويقال له الفرق بين الجمع والصحو بعد المحو والبقاء بعد الفناء والصحو الثاني وما يشبه ذلك وهي عبارة عن إفاقة العبد بعد ضعفه أي بعد أن تجلى عليه الحق سبحانه وأفناه عن آنيته ولما كان الوصول إلى الحضرة الإلهية متوقفاً بالعناية الأزلية الجاذبة للعبد إلى ربه لأن حال العبد في البداية دائرة بين الصحو والمحو ويعني بالمحو السكر وهي حالة ترد على الإنسان بحيث يغيب بها عن عقله ويحصل منه إبطال وأفعال لا مدخل للعقل فيها كالسكران من الخمر لكن بينهما من الفرق ما بين السماء والأرض وهذا السكر نتيجة المحبة وهي نتيجة الجذبة وهي نتيجة التوفيق والعناية فلا مدخل للكسب فيها وهذا حال المحبوبين لا حال المحبين فإن جذبهم إنما هو بعد السلوك والمجاهدة. **الطهارة:** حفظ الله للعبد من المخالفات ظاهراً. **الظاهر:** من حفظه الله من المعاصي. **ظاهر السر:** من لا يذهل عن الله طرفة عين. **الوجد:** هو استدعاء النفس إلى الخيرات وترك الدنيا وحب الآخرة. **التواجد:** استدعاء الوجد بضرب إختيار الوجود هو البعد عن حضرة الخلق والقرب من حضرة الحق. **كيمياء العوام:** إستبدال المتاع الأخروي الباقي بالحطام الدنيوي الفاني. **كيمياء الخواص:** خلص القلب من الكون. **كيمياء السعادة:** التخلي عن الأوصاف الذميمة والتحلّي بالأوصاف الحميدة المحاضرة والمكاشفة والمشاهدة والمعانية وهما أكمل من المكاشفة والكشف أكمل من المحاضرة فهي أعني المحاضرة تكون إبتداء أول المراتب ثم المكاشفة ثم المشاهدة. **المحاضرة:** حضور القلب مع الحق بالبرهان. **المكاشفة:** وهي حضور القلب بالوصف التام بالبرهان غير مفتقر إلى تأمل الدليل وتطلب سبيل ولا مجير من دواعي الريب ولا محجوب عن نعت الغيب. **المشاهدة:**

وهي وجود الحق تعالى من غير بقاء الهمة لما شاهده من الكمال وتطلق المشاهدة أعني رؤية الأشياء بأدلة التوحيد فصاحب المحاضرة مربوط ببراهينه وخوارق عاداته وصاحب المكاشفة مبسوط بصفاته وصاحب المشاهدة يلغي في ذاته لفنائه عما سوى الحق. المعاني: قيل غايتها تحقيق إحاطة الذات التي لا تصلح مع وجودها كرهاً بغير اللوائح واللوامع هذان كناية عن إختلاف أحوال أدب السلوك وما يفتح الله به عليهم من المقامات التي يدعون بلوغ كمالها كالزهد والتوكل والرضا والتسليم والمحبة وهما والطواع متقاربة معنى لا يكاد بينهما كبير فرق وإن كانت الطواع أتمّ ثمّ اللوامع وهي صفة أصحاب الديانات الصاعدين في الترقّي بالقلب فتكون الأشياء التي تظهر لهم أولاً لوائح ثم لوامع ثم طواع. اللوائح: كالبروق ظهرت ثم إستترت. اللوامع: أظهر من اللوائح وليس زوالها بتلك السرعة التي للوائح فقد تبقى اللوامع وقتين وثلاثة مثلاً فإذا لمع الطالع قطعك عنك وجمع به التكوين والتمكين. التكوين: صفة أرباب الأحوال. التمكين: صفة أهل الحقائق يقال لنيل الحال والرجوع عنه فصاحبه تارة يكون مع الحق وتارة مع نفسه. فهو متلون: ويقال الانتقال من منزل إلى آخر إلى أن يصل إلى مطلوبه الأقصى فيصير مُتَمَكِّناً فما دام العبد في الطريق فهو صاحب تلوين لأنه يترقى من حال إلى حال فإن وصل إلى مقام التوحيد غلب على قلبه حال الحق العقل ومن ثمّ قال المشايخ إنتهى سفر الطالبين إلى الظفر بنفوسهم فإذا ظفروا بنفوسهم فقد وصلوا وإعلم بأنّ الفقير الحاصل بما يرد على العبد يكون لأحد أمرين إمّا لقوّته أو لضعف الوارد عليه فإن كان الوارد قوياً وصاحبه ضعيفاً لم يحمله وإن كان بالعكس حمله ولم يتغيّر. النفس: هي عند القوم ما كان معلوماً من أوصاف العبد ومذموماً من أفعاله وأخلاقه وكثيراً ما يعبرون بها عند مبدأ الصفات المذمومة كقوله تعالى (إنّ النّفْسَ لأَمّارة بالسوء) (يوسف-٥٣) ولذلك عدت من أكبر أعداء الإنسان لصعوبة الخلاص من شرها ألا ترى أنّ الإنسان إذا صافح الأعداء أمن من شرّهم وإن صافح نفسه أهلكته ولذلك كان جهادها الجهاد الأكبر ثم أنّ المعلولات من أوصاف العبد الشاملة لأفعاله وأخلاقه على ضربين أحدهما كسبا كمعاصيه ومخالفته أمر ربه كالزنا والسرقه والثاني أخلاقه الدنيوية

التي طبع عليها كالجبين والجرأة والميل اللذيذ فهي في نفسها مذمومة ومع ذلك فإن عاجها العبد ونازلها أي تركها وانتقل عنها تنتفي بالمجاهدة تلك الأخلاق على العادة المستمرة وإن لم يتغيّر الطبع وهو الميل لكل لذيق والنضرة عن كل كريهة فالنفس بطبعها تميل إلى الدنيا لكونها لا تعرف حسناً غيرها فإذا عرفت نقصها وحجبها عن الخيرات تفوتها وكذلك من نظر إلى الأعمال الصالحة ومشقة القيام بها يجد نفسه نافرة عنها فإذا عرف ما يترتب عليها من الفوائد مال إليها وكره تركها فالذي كان تاركاً له صار مائلاً إليه والطبع لم يتغيّر والنفس والروح والسر والعقل عند محققي الصوفية بمعنى واحد وهو ما يفارق الإنسان بموته من اللطيفة الإنسانية والحقيقة الربانية ومن هؤلاء الغزالي رحمه الله حيث قال النفس للذم وللحقيقة الربانية والسر لما يكتم وفرق بعضهم بينهما بأنه يحتمل أن تكون النفس لطيفة مودعة في هذا القلب هي الأخلاق المحمودة ويعبر عن هذا بأنّ الروح جوهر نوراني علوي رباني والنفس ظلمانية سفلية شيطانية وأما القلب فتقلب بينهما فالروح طيبة شأنها الموافقة والنفس خبيثة شأنها المخالفة والقلب إن مال إلى الروح إيّصف بصفاتهما أو إلى النفس فبالعكس وتكون جملة الإنسان مسخر بعضها لبعض والجمع إنسان واحد ولا يؤثر في الفرق بينهما اشتراكهما في اللطافة.

فإفهم الرموز من الفور تفتح الكنوز وفي هذا القدر
كفاية لمن وفقه الله والحمد لله أولاً وآخراً
وأسأل الله أن ينفعني به والإخوان
مدّة دور الزمان آمين
يا رب العالمين آمين

